المشرق

الابرشيات المارونيّة وسلسلة اساقفتها

بقلم جناب الاديب الشيخ سليم خطّار الدحداح

للطائفة المارونيّة كما لغيرها من الطوائف ابرشيَّات يرتقي عهدها الى حين نشأتها. ولكن لمَّا كانت هيئة الطائفة قد تغيَّرت مرارًا واختلفت مراكزها مع توالي الأيَّام فقد اختلفت اسماء ابرشيَّاتها ايضًا . ولهذا لا يمكننا الَّا الاستناد الى ما تقرَّر في المجمع الاقليمي المنعقد في دير السيدة بالمكان المعروف باللويزة بمقاطعة كسروان في ٣٠ ايلول سنة ١٧٣٦ والمعروف باسم المجمع اللبناني . وهذا المجمع الشهير عُقد في ايَّام البطريرك يوسف (ضرغام) الخازن وهو البطريرك الاوَّل من هذه الاسرة الكريمة والاوَّل من مقاطعة كسروان ايضًا وبرئاسة العلّامة الشهير يوسف سمعان السمعاني الماروني بصفة قاصد الكرسي الرسولي الروماني . وقد طُبعت اعمال هذا المجمع باللغة العربيَّة في مطبعة الشوير سنة ١٧٨٨ لاوَّل مرَّة انَّما بسبب بعض اختلافات وجدت فيها عن الاصل اللاتيني المصادق عليهِ من اباء المجمع والمثبَّت من الحبر الاعظم قد صدر امر المجمع المقدَّس بطبع اعمال المجمع ثانية بعد تصحيح الترجمة فقام بهذا العمل سيادة النائب البطريركي المطران يوسف نجم رئيس اساقفة عكّا شرفًا خير قيام وصار طبع هذا التعريب في مطبعة الارز العامرة سنة ١٩٠٠ وقد سبق لمجلّة المشرق التكلُّم باسهاب بخصوص هذه الطبعة مع اعطائها الاطراء التي هي اهلٌ بهِ . وعليهِ قد وجدنا في ذيل هذا المجمع في الفصل الحادي والاربعين تحت عنوان «تعيين كراسي مطارنة الموارنة واساقفتهم وتخومها» ما يلي حرفيًّا :

الفصل الحادي والاربعون

تعيين كراسي مطارنة الموارنة واساقفتهم وتخومها

ان كرسي بطريرك انطاكية وعامَّة الطائفة المارونيَّة هو في جبل لبنان في الدير المعروف بدير قنوبين وكان تحت رعايتهِ من المطرنيَّات والاسقفيَّات ما يأتي:

١ً صور	٥ً بيروت	٩ً اللاذقية	١٣ً صارفة
٢ً دمشق	٦ً طرابلس	١٠ً حماة	١٤ً نابلس
٣ً قبرس	٧ً البترون	١١ً عرقة	١٥ً جبيل
٤ً حلب	٨ً عكا	١٢ً اهدن	١٦ً نابلس

الَّا ان آباء المجمع اللبناني المنعقد في ٣٠ ايلول سنة ١٧٣٦ قد حكموا بانحصار ابرشيَّات الموارنة بثمان ابرشيَّات فقط مع سلامة سلطة السيد البطريرك السامي الاحترام على رسامة بعض الاساقفة بالشرف وهي:

١ً ابرشيَّة حلب وتوابعها

٢ً طرابلس. ورعاية مطرانها تمتدّ من طرابلس والزاوية الى عرقة وبلياس وارواد وانيرواد وجبلة واللاذقية حتى حدود حلب

٣ً جبيل والبترون. وحدودها تمتدّ الى ابرشية جبيل والبترون والماقورة ودير الاحمر وناحية بشراي

٤ً ابرشية بعلبك. وتمتدّ حدودها الى ابرشية بعلبك والفتوح بحدود بلادجبيل ونصف مقاطعة غزير وقصبتها غوسطا وغزير

٥ً دمشق. وتمتدّ حدودها الى الابرشية الدمشقية والنصف الاخر من مقاطعة غزير وقصبتها عجلتون وتتناول ايضاً بسكنتا وزوق الخراب وزبّوغا

٦ً قبرس. وتتناول تخومها كل قرى تلك الجزيرة ولها ايضاً في كسروان بكفيا وبيت شباب ومزارعها وقرى كسروان الى جسر بيروت

٧ً بيروت وتمتدّ تخومها من بيروت الى المتن والجرد والغرب وشحار المتن حتى جسر بيروت

٨ً صور وصيدا. وتتناول حدودها صور وصيدا والقرى التابعة لها والشوف والبقاع ووادي التيم وما يليها من نهر القاضي الى مدينة اورشليم المقدَّسة

وهذه اسماء الرؤساء الموقّعين:

يوسف بطرس البطريرك الانطاكي الياس مطران عرقة عبد الله مطران بيروت سمعان مطران دمشق جبرايل مطران صارفة جبرايل مطران عكا اسطفان مطران البترون فيلبوس مطران جبيل باسيليوس مطران طرابلس ميخايل مطران بانياس جبرايل مطران حلب اغناطيوس مطران صور يوحنا مطران اللاذقية طوبيا مطران قبرس. اه

وعليهِ كان من الواجب ان نتبع سلسلة الاساقفة الموارنة على هذه الابرشيات الثمانية منذ سنة ١٧٣٦ ليومنا هذا ولكن وُجد اساقفة عُرفوا قبل هذا التاريخ بهذا الاسم ولهذا سنذكر اسماءهم ايضاً . نعم انَّ لقبهم هذا كان وقتئذٍ لقباً شرفياً وليس فعلياً لان جميع الاساقفة كانوا يقيمون قبل ذلك التاريخ بمعيَّة السيد البطريرك في كرسيّهِ وكان لهُ وحدهُ السلطة بتفويض ايٍّ كان منهم بالمهمَّات التي يراها موافقة في اي ابرشية كانت . اعني انهُ كان يوفد في الايام والمواسم التي يراها مناسبة احد الاساقفة الى مدينة او قرية وان تكن خارجة عن دائرة الحدود المنسوبة للابرشيَّة التي هو حاصل على لقبها اعني انهُ كان يُرسل اذا اراد مطران بيروت الى نواحي ابرشية طرابلس او مطران صيدا الى ملحقات ابرشية قبرس وما شابه ذلك ولم تكن الالقاب الاسقفية ملازمة للاسقف غير منفصلة عنهُ بمعنى انهُ لم يكن من الواجب ان يبقى اسقف واحد في الابرشية كما يجري حاضراً . او ان يختصّ وحده بلقب مدينة . فكثيراً ما كان يحدث ان يُلقَّب اسقفان او اكثر بلقب مدينة واحدة او ان يبقى لقب تلك المدينة ملغى بعد موت اسقفها مدَّة طويلة كما يستدلّ كل ذلك من تاريخ العلّامة الدويهي وغيره . وقرارات المجمع اللبناني ذاتها لم توضع موضع الاجراء تماماً الَّا بعد انعقاده باكثر من اربعين سنة كما يلوح من تواريخ الجيل الثامن عشر

واذ قد اوضحنا الاستدراكات اللازمة نشرع الآن بهذه السلاسل . ولمَّا كان حبّ مسقط الرأس لا يُنكر على احدٍ ويحقّ لكل انسان ان يبدأ بالكلام عن بلدهِ قبل غيره من المحلَّات جاز لي ان اتكلَّم اوَّلاً عن ابرشية بعلبك التي انا من ابنائها . ومنها انتقل بحقوق الجوار الى ابرشية دمشق فابرشيَّة قبرس فبيروت ثم الى صور وصيدا ثم الى طرابلس فحلب واختم في الكلام عن جبيل والبترون التي كانت ابرشيَّةً منفصلة الى سنة ١٨٣٤ واصبحت منذ ذلك العهد متعلّقة رأساً بالسيد البطريرك

١ ابرشيَّة بعلبك

اول اسقف عرفناه في طائفتنا ترأَّس ابرشية بعلبك هو المطران جبرائيل مبارك ابن القس سليمان مبارك الذي نزح من غوسطا سنة ١٦٥٠ عند ما رُزق بفقد امرأتهِ واستوطن ريفون وانشأ فيها ديراً على اسم القديسين سركيس وباخوس وادركتهُ المنيَّة

سنة ١٧١٣ وقد كان لهُ سبعة اولاد ذكور اشتهر منهم ثلاثة : احدهم المطران جبرائيل الذي نحن بصدده الان (١ سيم مطرانًا على ابرشية بعلبك من يد البطريرك اسطفان الدويهي . وقد ساس هذه الابرشية مدَّة طويلة وتوفي سنة ١٧٣٢ وبقي لقب بعلبك ملغىً مدَّةً بعد وفاته فانّنا في اعمال المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ لا نرى احدًا من الاساقفة قد وقَّع تحت هذا اللقب . ولكنَّنا نرى المطران الياس محاسب النائب البطريركي واضعًا توقيعهُ في بعض تحارير مطبوعة مع اعمال المجمع على هذه الصورة « الياس محاسب مطران عرقة وبلاد كسروان » . وقد فوَّض البطريرك يوسف الخازن المشار اليه آنفًا ادارة ابرشية بعلبك منذ سنة ١٧٣٤ الى المطران اسطفان الدويهي (ابن شقيق البطريرك المؤرّخ) وهو الموقّع اعمال المجمع باسم « اسطفان مطران البترون »

الثاني المطران جبرائيل مبارك الثاني . كان راهبًا في دير ريفون وهو ابن شقيق المطران الاول . سامهُ البطريرك طوبيا الخازن اسقفًا على هذه الابرشية سنة ١٧٦٣ فادار شؤونها ٢٥ سنة وقد حضر المجامع التي عقدها البطريرك يوسف اسطفان وتوفّي في ٢٨ تموز سنة ١٧٨٨ وكان مقيمًا في الدير السالف الذكر

الثالث بطرس مبارك ابن شقيق المطران جبرائيل الثاني . كان مثلهُ راهبًا في دير ريفون سقَّفهُ البطريرك يوسف اسطفان مطرانًا شرفيًا سنة ١٧٨٧ معاونًا لعمّهِ في الابرشية وخلفهُ عليها حين وفاته . وتوفّي في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٠٧ وكان مقيمًا في الدير المشار اليه وقد رأيت توقيعهُ في صور المعاريض المرسلة من بعض الاساقفة الى المجمع المقدَّس بخصوص اعمال البطريرك يوسف التيّان

الرابع انطون الخازن . وهو الشيخ نايف بن نوفل (ونوفل هو الموقّع اعمال المجمع

---

١) امّا الاثنان الاخران فهما : الاب بطرس مبارك اليسوعي الشهير مؤسس مدرسة عينطوره والاخر (وهو اكبر اخوتهِ) هو المطران يوسف مبارك سامهُ البطريرك اسطفان الدويهي اسقفًا على صيدا في ٦ حزيران سنة ١٦٨٣ وانتخبهُ مطارنة الطائفة بطريركًا بدلًا من البطريرك يعقوب عواد سنة ١٧١٠ ولكن الكرسي الروماني المقدَّس لم يصادق على انتخابهِ وقد توفي المطران يوسف مبارك في ١٨ ايلول سنة ١٧١٣

اللبناني) ابن حصن بن ابي قانصوه الخازن ولد في درعون سنة ١٧٧٠ ثم سيم كاهناً سنة ١٧٩٦ وقد سامهُ البطريرك يوسف التيان اسقفاً شرفياً على الناصرة سنة ١٨٠٥ ثم تعيَّن بامر البطريرك المذكور راعياً لابرشية بعلبك بعد وفاة المطران بطرس مبارك سنة ١٨٠٨ فادار شؤونها مدةً طويلة تنيف عن خمسين سنة فاقام اولاً في دير ريفون ثم لمَّا اضطرَّ لمغادرتهِ اقام مدةً يتردَّد بين دير مار يوسف الحوف في درعون ودير السيدة خاصَّة عائلتهِ في بقلوش · وبعد وفاة ابن عمهِ الخوري اسطفان رئيس هذا الدير الاخير لبث فيهِ بصورة دائمة حتى وفاتهِ في ١٨ شباط سنة ١٨٥٨ وكان شيخ الاكليروس الماروني · عاش ٨٨ سنة قضى منها ٥٣ سنة في رئاسة الكهنوت

الخامس يوحنا الحاج · هو يوحنا ابن الخوري يعقوب الحاج اصلهُ من حصرون ولد في دلبتا كسروان في اول تشرين الثاني سنة ١٨١٧ · دخل في ١٤ حزيران سنة ١٨٣٠ مدرسة عين ورقة فنبغ في كافة علومها ولغاتها وصار كاهناً في ٢٦ كانون الاول سنة ١٨٣٩ ثم تخرَّج بعلم الفقه والشرائع فصار مشهوراً فيها وتعيَّن رئيساً للمحكمة في مدَّة القائمقامية على عهد الميرَين حيدر اسمعيل وبشير احمد اللمعين منذ سنة ١٨٤٤ الى ١٨٦٠ واستقال من منصبهِ حين تشكيل المتصرفيَّة فسامهُ البطريرك بولس مسعد اسقفاً على بعلبك في ١٥ آب سنة ١٨٦١ وكانت الابرشية كما رأيت بدون مقرّ اسقفي لغاية ذلك التاريخ فاضطرَّ ان يأوي لدير السيدة خاصَّة عائلة ديب في عرامون كسروان والمعروف باسم سيدة الحقلة فضبط ارزاقهُ وحساباتهِ ورمَّمهُ واحياه واشترى لهُ ارزاقاً جديدة · وبالوقت ذاتهِ كان يُعنى بتأسيس كرسي وايجاد ارزاق للابرشية فقضى تسعة وعشرين عاماً ساعياً بهمَّة لا تعرف الملل وراء هذه الغاية فتوفّق الى تملُّك محلَّات خصبة وذات مداخيل حسنة في جرود الفتوح والمنيطرة وشرع ببناء دار اسقفيَّة جميلة الهندسة واسعة الارجاء في وسط قرية عرامون · وقبل ان ينجز بناءها توفي البطريرك بولس مسعد في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠ وحضر المطران يوحنا وسائر الاساقفة الى دير بكركي · وبعد دفن البطريرك المتوفّي عُقد المجمع الانتخابي برئاسة المطران بطرس البستاني وفي ثاني جلساتهِ اتفق جميعهم بالصوت الحيّ على اختيار المطران يوحنا بطريركاً في ٢٨ نيسان سنة ١٨٩٠ فقبل هذا المنصب رغماً عن شيخوختهِ وباشر القيام بهِ بالعزم والحزم اللذين عُرف بهما طول عمره · وزيادةً على عبء البطريركية الثقيل لبث ساهراً عن قرب على اكمال

ما شرع به في ابرشيته القديمة متخذاً فيها لمعاونته معاونة وكيلهُ فيها الآتي ذكره . وبالاختصار ان هذا البطريرك الجليل الشان هو منشئ كرسي بعلبك واملاكه وارزاقه فاغنى بذلك خلفاءهُ عن الالتجاء الى اديار خصوصيّة يقيمون فيها . وهو جدّد نوعاً ما ثروة دير الحقلة الذي عاد بعد ذلك لاصحابه الخصوصيين . فلا تُنسى اياديه على ابرشية بعلبك كما لا تنسى الطائفة جليل مآثره في الكرسي البطريركي . واعمال بطريركيته حديثة العهد لا حاجة الى تعدادها . ولمّا كان اسقفاً سافر سنة ١٨٦٧ الى رومية فباريس فالاستانة العليّة بمعيّة سالفه البطريرك بولس فنال من تعطفات السلطان عبد العزيز النيشان المجيدي من الطبقة الثالثة . وفي عهد بطريركيته نال المجيدي الاول ثم العثماني الاول ونيشان جوقة الشرف من الطبقة الثالثة (كومندور) من حكومة فرنسا . وقد توفي في ٢٤ كانون الاول سنة ١٨٩٨ في دير سيّدة بكركي الذي كان جدّده حتى اصبح صرحاً عظيماً يليق بشأن المقام البطريركي وبشأن الطائفة ودُفن في ٢٦ كانون الاول اي في مثل اليوم الذي سيم به كاهناً . وقد بلغ من العمر ٨١ سنة وشهرين قضى منها تسعة وخمسين سنة في خدمة الكهنوت والاسقفية والبطريركية

السادس استفنا الحالي سيادة المطران يوحنا مراد . هو فارس بن الياس بن مراد ابن فرح اروتين . وفرح هذا ارمني الاصل من مدينة حلب قدم لبنان واستوطن دلبتا . ووالدة سيادته شقيقة سالفه البطريرك يوحنا الحاج . وُلد فارس في دلبتا في ١ شباط سنة ١٨٥٤ وتلقّى دروسهُ في مدرسة اليسوعيين في غزير ثم في كليتهم في بيروت حيث عرفتهُ بين طلبة السنة الرابعة من اللاهوت . وفي ٢١ ايلول سنة ١٨٨٢ سامهُ سيادة خاله كاهناً باسم يوحنا وعاد الى كلية الآباء اليسوعيين حيث اقيم ناظراً على مدارسهم الخارجية في احياء البلدة وتولّى مدّةً تدريس احد الصفوف العربيّة في الكليّة المشار اليها حيث اسعدني الحظ ان كنت في عداد تلاميذه . ثم استدعاه خاله لديه واقامهُ نائباً لهُ فبقي في هذه الوظيفة الى ارتقاء خاله الكرسي البطريركي فقلّدهُ حينئذٍ وكالة الابرشية فكان اليد اليمنى لهُ في كل مشاريعه المهمّة . وفي ١٢ حزيران سنة ١٨٩٢ سامهُ اسقفاً خلفاً لهُ فاكمل كافة اعمال خاله ولم يزل ملازماً خطّتهُ الحسنة . وقد ذهب في سنة ١٨٩٣ الى القدس الشريف حيث حضر المجمع القرباني المنعقد برئاسة الكردينال لنجنيو ومنها ذهب لرومية حيث لقي كل رعاية . وهو حاصل على النيشان المجيدي العالي

الشان من الطبقة الثانية . وقد اشاد محصيفًا جميلًا للكرسي الاسقفي في لاسا . (في جرود الفتوح من قضاء كسروان) وقد عرفهُ الجميع مقداماً غيوراً يتفانى في الخير العام اطال الله ايّام رئاسته لنفع الابرشية والطائفة (ستأتي البقيَّة)

التشابيه النصرانية في شعراء الجاهلية

بحث للاب لويس شيخو اليسوعيّ مدرس الآداب العربية في المكتب الشرقي (تتمَّة)

٢١ البطرك والبطريق (تابع)

وقال اميَّة بن ابي الصلت في البطريق:

من كلّ بطريقٍ لبطـــريق نقيّ الوجه واضحْ

وكذلك انشد ابن بريّ (التاج ٦: ٢٩٦):

فلا تنكروني انَّ قومي اعزَّةٌ بطارقةٌ بيضُ الوجوهِ كرامُ

٢٢ الحبر

الحبر الرجل العالم وقيل الصالح من العلماء . وقد وردت في الشعر القديم بمعنى زعيم الدين (راجع شعر أيمن بن خُرَيم ص ٦٢٢) . وروى ابن هشام (في سيرة الرسول ص ٣٨٤):

لو كنت مرتهنًا في القَوس أفتنني منهـا الكلام وربَّانيُّ احبارِ

قال ابن هشام: «الربانيُّون والاحبار العلماء الفقها السادة». ولمَّا ذكر القَوس تعيَّن معنى علماء النصارى . وقال: «افتنني لغة تميم وفتنني لغة قيس». وتأتي الحبر بمعنى كبير اليهود قال الشمّاخ (راجع اللسان ٥: ٢٢٩):

كما خطَّ عبرانيَّةً بيمينهِ بتيماء حبرٌ ثمَّ عرَّض اسطرا

٢٣ القسّ

قال في اللسان (٨: ٥٨) وفي التاج (٤: ٢١٦—٢١٧): القسّ رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم. ومثلهُ القسّيس وجاء جمعها على قساقسة . قال عبدالله بن زبير لحجار بن ابجر العجلي (الاغاني ١٣: ٤٦):

وعندك قسّيس النصارى وُصلْبها وغانيةٌ صهباء مثل جنى النحل

وقال الراجز (اللسان ٨ : ٥٨) :

لو عرضتْ لأيبليّ قسّ أشعث في هيكلهِ مندسّ حنّ اليها كحنين الطسّ

وقال اميّة بن ابي الصلت (التاج ٤ : ٢١٧) :

لو كان منفلتٌ كانت قساقسةٌ يحييهمِ اللهُ في ايديهمِ الزُّبُرُ

وقال حسّان (المعرَّب للجواليقي ص ٣٩) :

صبَحنَ توماء والناقوسُ يقرعهُ قسُّ النصارى حراجيجاً بنا تجفُ

٢٥ الشمّاس

هي لفظة سبقت الاسلام كما ترى في كتاب الاشتقاق لابن دريد (٢٦٨) وفي الحماسة (ص ٢٥٥) ولم نجدها في شعر قديم . وقد جمعها البحتري (راجع ياقوت ٢ : ٨٣٠) على شمامس حيث قال :

« بين الشمامس والقسوسْ »

٢٦ الراهب

قد تكرّر اسمهُ في الشعر القديم . ووصف الشعراء احوالهُ ودعوهُ باسماء شتّى . قال الاعشى (التاج ١ : ٢٨٠) :

حلفتُ بثوبَي راهب الدير والتي بناها قصيٌّ والمضاض بن جُرهمِ

اراد بثوبيهِ مِسْحيهِ كما قال الآخر (التاج ٨ : ٦٩) :

لا وصلَ اذ صرمت هندٌ ولو وقفتْ لاستفتنتني وذا المِسحين في القوسِ

وكان الرهبان يسكنون في اعالي الجبال انشد ابن الاعرابيّ (التاج ١ : ٢٨١) :

لو كلّمت رهبان دير في القُلَلْ لانحدر الرهبان يَسعى فنزل

قالوا الرهبان هنا مفرد كالراهب . وقال ربيعة بن مقروم الضبيّ يصف مقام الراهب وصلاتهُ وتقشُّفهُ (الاغاني ١٩ : ٩١) :

لو انّها عرضت لأشمط راهبٍ في رأس مشرفة الذرى متبتّلِ
جئّار ساعاتِ النيام لربّهِ حتّى تخدّد لحمهُ مستعملِ
لصبا لبهجتها وحسن حديثها ولهمّ من ناقوسهِ يتنزّلِ

ويروى : « مشعل » بدلًا من مستعمل . وقال الراعي (معجم البلدان ٤ : ٥٠١) :

وسربِ نساءٍ لو رآهنَّ راهبٌ لهُ ظلةٌ في قلّةٍ ظلَّ رانيا

يقال رنا اليهِ اي طرب لحديثهِ . واكثر الشعراء من ذكر رهبان ناحية مدين . قال كثيّر عزّة (ياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مدينَ والذين عهدتُهم يبكون من حذَرِ العقاب قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ كلامها خرُّوا لعزَّة ركَّعاً وسجودا

وقال جرير ايضاً (ياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مدينَ لو رأوكِ تنزّلوا والعصمُ من شَعَفِ الجبالِ الفادرِ

وقال جعفر بن سراقة احد بني قرَّة (الاغاني ٧ : ١٠١) :

فنحنُ منعنا ذا القرى من عدوّنا وعذرة اذ نلقى يهودًا وبسْرا
منناهُ من عليا معدٍّ وانتمُ سفاسيفُ روحٍ بين قرحٍ وخيبرا
فريقان رهبان باسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

ومّما اكثر منهُ الشعراء ذكر مصباح الراهب يوقدهُ ليلًا لصلاتهِ فيُرى عن بُعد ويقبل اليهِ الغرباء . قال امرؤ القيس في معلّقتهِ يصف لمعان البرق :

أصاحِ ترى برقاً أُريكَ وميضَهُ كلمعِ اليدينِ في حَبِيٍّ مكلَّلِ
يُضيء سناهُ او مصابيحِ راهبٍ أمالَ السليطَ بالذُّبالِ المُفتَّلِ

وقال ايضاً (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ٢١) :

نظرتُ اليها والنجومُ كأنّها مصابيحُ رُهبانٍ تُشبُّ لقُفّالِ

وهو القائل ايضاً (ص ١٤٨ من ديوانهِ) :

تُضيء الظلامَ بالعشاء كأنّها منارةُ مُمسَى راهبٍ متبتّلِ

وكذلك وصفوا صلاة الرهبان في ليلهم وتعبُّدهم وتشعُّث لمّتهم زهدًا وصومهم . قال منظور الاسدي (راجع تهذيب الالفاظ لابن السكّيت ص ٤١٢) :

كأنَّ مهواهُ على الكلكلِ موقعُ كفّيْ راهبٍ يصلّي
بازلٍ وجناء او عيهلٍ في غَبَش الصبح او التجلّي

وقال صخر الغيّ (لسان العرب ٩ : ٢٧ والتاج ٥ : ٢٨٣ والهذليات) :

واللهِ لو اسمعت مقالتَها شيخاً من الشُّعث رأسهُ لبدُ
مآبهُ الروم او تنوخُ او الآ طامُ من حورانَ او زَبدُ
لفاتحَ البيعَ يوم رؤيتِها وكان من قبلُ بيعُهُ لكد

وقال الآخر (اللسان ١٤ : ٨٩) :

من راهبٍ متبتّلٍ متهلٍ حادي النهار لليلهِ متهجّد

(قال) تهل الجلد وتهّل يبس . وقال النابغة (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١١) :

لو انّها عرضت لاشمطَ راهبٍ عبد الاله صَرُورةٍ متعبّدِ
لَرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخالهُ رشدًا وان لم يرشُدِ

وربّما دعوا الراهب بالابيليّ والابيل كما مرّ . قال عدي بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٥) :

انّني واللهِ فاقبل حلفتي بأبيلٍ كلّما صلّى جأرْ
مرعدٍ احشاؤهُ في هيكلٍ حسنٍ لِمّتهُ وافي الشَّعَرْ

وعُرف الرهبان ايضًا بصلاتهم العموميّة وبتلاوتهم الزبور . قال امرؤ القيس (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٦١) يصف رسوم الدار :

أتت حججٌ بعدي عليهِ فأصبحت كخطّ زبورٍ في مصاحف رهبانِ

٢٧ القُدس والمقدس واورشليم

عُرف النصارى قديمًا بزيارتهم للاماكن المقدّسة لا سيّما مدينة القدس والى ذلك اشار الشعراء القدماء . قال بعضهم (التاج ٤ : ٢١٣) :

لا نومَ حتّى تهبطي ارضَ القُدُسْ وتشربي من خير ماءٍ بقُدُسْ

(قال) اراد الارض المقدّسة . ومثلهُ قول الحجّاج (اللسان ٨ : ٥١) :

قد علم القُدّوسُ مولى القُدسِ انَّ ابا العبّاسِ اولى نفسِ
بمعدن الملك القديم الكرسيّ

(قال) القدس البيت المقدّس لانّهُ يتطهّر فيهِ من الذنوب او للبركة التي فيهِ . ودعاهُ الاعشى باسمهِ القديم اوريشلم . قال (راجع ياقوت ١ : ٤٠٢) :

وطوّفتُ للمال آفاقهُ عُمانَ فحمص فاوريشلمْ
اتيتُ النجاشيَّ في دارهِ وارض النبيط وارض العجمْ

ودعاه الفرزدق باسمهِ الروماني ايليا (Ælia) قال (ياقوت ١ : ٤٢٤) :

وبيتٌ بأعلى ايلياء مشرف

وانشد لاعرابي يصف بعيرهُ (١ : ٤٢٥) :

فلو انَّ طيرًا كُلّفت مثل سيرهِ الى واسطٍ من ايلياء لكَلّتِ

سمى بالمَهارى من فلسطين بعد ما دنا الفيءُ من شمس النهار فولّت
فما غابَ ذاك اليوم حتّى أناخها بَبيسان قد حلّت عُراها فكلّت

والمُقدّس عندهم الذي يزور القدس. قال امرؤ القيس (راجع ديوانهُ ص ١٣٦) وهو يصف ثورًا ادركتهُ الكلاب فقطّعت جلدهُ:

فأدركنَهُ يأخذنَ بالساق والنَّسا كما شبرق الولدانُ ثوبَ المُقدّسِ

قال في اللسان (٨: ٥٠): شبرق جلدهُ اي قطّعهُ. ويقول قطّعهُ الكلاب كما شبرق ولدان النصارى ثوب الراهب الذي جاء من بيت المقدس فقطّعوا ثيابهُ تبرّكًا وكانوا يتبرّكون به ويمسحه الذي هو لابسهُ وأخذ خيوط منهُ حتّى يتمزّق عنهُ ثوبهُ. قيل والمقدّس الحبر. اه

٢٨ ذكر ثياب النصارى

وصف النابغة ثياب النصارى الغسّانيين حيث قال (العقد الثمين ٤):

رقاقُ النعال طيّبٌ حُجُزاتهم يُحيَّوْنَ بالريحان يوم السباسبِ
تحيّيهم بيضُ الولائد بينهم وأكسية الإضريج فوق المشاجبِ

قالوا الاضريج الخزّ الاحمر. وقد مرّ في بيت سابق انّ البطرك يلبس ريطًا كتّان.

ومما يشير الى انتعالهم قول الشمّاخ (راجع اللسان ١٨: ٣٠٤ والتاج ٢: ٥٠) يصف نعاماً في بريّة:

ودوّيّة قفرٍ تمشّى نعامُها كمشي النصارى في خفاف اليرندجِ

(قال) اليرندج فارسيٌّ معرَّب «رَنده» وهو جلد اسود تُعمل منهُ الخفاف. وكذلك كان العباديُّون ينتعلون بالأمواق. قال النمر بن تولب (التاج ٧: ٧٣ واللسان ٢٢: ٢٢٧):

فترى النعاج بها تمشّى خلفهُ مشيَ العباديين بالامواقِ

قال ابن سيده: الموق ضرب من الخفاف جمعهُ امواق وقيل خفٌّ غليظ يلبس فوق الخفّ. وكانوا ايضًا يلبسون الآخنيّ. قال البعيث:

فكرَّ علينا ثمَّ ظلَّ يجرُّهُ كما جرَّ ثوبَ الآخنيِّ المقدّسُ

(قال) الآخنيّ الثياب المخطّطة وقيل اكسية سود ليّنة يلبسها النصارى. والمقدّس مرّ ذكرهُ. وقال ابو الخراش:

كأنَّ المُلاء المحضَ خلفَ كراعهِ اذا ما تمطَّى الآخنيُّ المخذَّمُ

٢٩ الإران

هو تابوت كان يحمل عليهِ النصارى موتاهم كما نصَّ عليهِ شارح معلَّقة طرفة في قولهِ يصف ناقتهُ :

امونٍ كألواح الإران نسأتُها على لاحبٍ كأنَّهُ ظهرُ برجدِ

وقال الاعشى (راجع لسان العرب ١٦ : ١٣٥) :

اثرت في جناجنٍ كإران الميْـت عُولينَ فوق عُوجٍ رسالِ

هذا وفي الشعر القديم ايضاً اشارات أُخرى الى عادات نصرانيَّة تراها في قصائدهم من ذلك قول ذي الرمَّة (ديوانهُ المخطوط نسخة مكتبتنا ص ٥٧) :

ولكنَّ اهل امرئ القيس معشرٌ يحلُّ لهم اكلُ الخنازير والخمرُ

وكقول اميَّة بن ابي الصلت يشير الى اصحاب الكهف الذين رقدوا في افسس (البيضاوي طبعة ليدن ص ٥٥٥) :

وليس بها الَّا الرقيم مجاورًا وصيدهُمُ والقومُ في الكهفِ

واختلفوا في شرح الرقيم فقيل انهُ الجبل الذي كانوا فيـهِ وقيل بل وادٍ وقيل هو اللوح الذي عليهِ كانت اسماؤهم (راجع مجاني الادب ٢ ص ٢٣٦)

وكذلك قد ورد في آثار الجاهليَّة الفاظ أُخرى نصرانيَّة لم نجد عليهـا شواهد في الشعر وانَّما وردت في الروايات القديمة ونُقلت في معاجم اللغة . فمن هذه الالفاظ ما هو معرَّب كالمطران والاسقف والشمَّاس والكرخ والمِزْمن ومنهـا ما هو عربيٌّ محض كقولهم : وَقَه النصرانيّ وتنحَّس . ولعلَّنا نجمع هذه الالفاظ في مقالة مستقلّة . ان شاء الله

(انتهى)

حبة بغداد

لجناب الدكتور نابليون افندي باريني البغدادي
معرَّبة بقلم حضرة اخيو الاب انستاس الكرملي

تمهيد

ان اقامتي بمنزلة طبيب للمستوصف الكاثوليكي للاباء الكرمليين في بغداد بعث في الناس خاطرًا فطلبوا اليَّ ان استقصي البحث عن حبتها المشهورة. فأوغلتُ في التنقيب عنها مدَّة سنوات وتوقفت الى ان اعرف كنه هذا الداء. فعسى هذه المقالة تفيد القرَّاء وتطلعهم على احدى الحقائق الطبيَّة الراهنة

(اسماؤها) تختلف اسماء هذه الحبَّة باختلاف البلاد والمواطن فتُدعى: «حبَّة الشرق وبغداد وحلب وقفصة وبثرة الصحراء وزيبان والنيل ودهلي والبلاد الحارَّة» الى ما شابه هذه الاسماء. وهي على ما قاله أُنّا (Unna) وبِسْنِيه (Besnier) وبُرُوق (Brocq) وسائر العلماء الباحثين عن الامراض الجلديَّة عبارة عن تقرّح سليم الوطأة يصيب الافراد من الناس مستقل بنفسه وموضعهُ الجلد. وعليه فهذه «الأخت» منطوية تحت مطوى علم الامراض الجلدية وليس لها تعلّق بداخل نظام الاعضاء. وهذه العُدَّة تنتقل بالعدوى على رأي جماعة وهي غير مُعدية على رأي الفريق الآخر على ان أبحاثي أدَّت بي الى هذه النتيجة وهي: ان بُرةَ بغداد هي ولا جرم من الامراض العفنية وتُعدي الغير بنفسها وفيها أحياء (مكروب) والعدوى فيها من جوهرها وفتكها محصور في الجلد لا غير. وهاءنذا اثبت ذلك بالبيّنات الصادقة والبراهين الناطقة

١ً في عدوى حبَّة بغداد او الاخت

ان المصابين بهذه الاخت كانوا يجاوبونني جوابًا واحدًا كلَّما سألتهم عنهُ وهو: ان التقيّح حصل عقيب وخز حشرة. امَّا المشكيُّ عنهُ في إحداث هذا التشويه فهو البعوض وفي الغالب الذبابة وفي النادر البرغوث. واوّل اثر يُحدثهُ الوخز ويستلفت نظر الموخوز هو حكَّة شديدة. والدليل الثاني ان وجود الهوام المذكورة في هذه الاصقاع مدة ثلاثة فصول السنة يُوضح لنا كل الوضوح الإصابات المتعدّدة بهذا الداء في تلك الفصول

اكثر من وقوعها في الشتاء. بخلاف ما يذهب اليه لاڤران (Laveran) القائل بان الحبّة ترى من شهر ايلول الى شهر شباط ومنذ شهر كانون الاوّل او شباط لا يُكاد ترى إصابات جديدة حتّى الخريف التالي

على ان لاڤران لو توغّل في أبحاثه لتحقّق ان التلقيح يحدث في فصلي الصيف والخريف او الشتاء. وليس الّا نتيجة الحضانة التي أغضى الطرف عنها. وهي مع ذلك غير منكرة. وهذه الحشرات تمصّ السنّة من الاخوات المتقيّحة وتنقلها الى الاصحّاء فتلقحهم ايّاها.

ومن هذه الادلّة ايضاً ان هذه الحبّة تظهر في اغلب الأحايين على العاري وليس من الممكن ان يحدث العفن في تلك المواطن بواسطة سائل الهواء او الماء. ولندع السيو كرادو (Corrado) احد أطبّاء الصحة في حلب يتكلم قليلًا قال: «... وبما بذلتُ من البحث في هذه العشر السنوات قد ثبت لديّ ان الحبّة لا تظهر على مستور البدن ولم اتوفق الى وجود احد يفيدني عن السبب. فقد قيل لي دائماً ان الحبّة لم تُرَ في تلك المواطن»

هذا وان الحبّة لا تنتقل على يد نوع واحد من الحشرات بل على يد انواع شتّى منها ما ذكرناه فوق هذا. ومنها وسائط اخرى يمكن بها انتقال العدوى كتقبيل شخص مصاب بحبّة متقيحة لشخص آخر سالم منها. او وضع قطنة على حبّة متقيحة ثم اعادة وضعها على جرح دام او ذي قيح في شخص ثانٍ ليس فيه هذه الحبّة فتنتقل اذ ذاك اليه بواسطة العدوى. وهذا التحقيق ينافي كل المنافاة ما قرّره كرادو الطبيب المذكور الذي يذهب في المسألة الى ان «العدوى لا تنتقل الّا بنوع واحد من الحشرات وبنبات خصوصيّ مجهول في هذا اليوم ومنتشر في البلاد التي تحدث بها هذه الحبّة». وقد رايت وَهن مُدّعاه ممّا تقدّم من الشرح. واليك الآن تتمّة كلامه بنصه الحرفي معرّباً. قال: «والجهلة لعلم الطبّ يستصعبون في نفسهم إدراك هذا الامر وهو كيف ان وخزة حشرة توجد في حلب فقط او في سائر البلدان التي يوجد فيها نفس هذا الداء. وان كان بدرجات متفاوتة تفعل هذا الفعل مع انهُ يوجد مثل هذه الدويبة في بلاد اخرى ولا تحدث نفس هذه الأحداث. فالجواب عن هذين السؤالين انهُ بموجب ما بذلتُ من البحث في هذا الصدد قد تحقّق وجود هذه الحشرة في آسية كلها مع ان

الحبّة لا توجد الّا في حلب وفي بعض مدن اخرى . وينسب ذلك الى وجود نبات مجهول اليوم . اذ ان نباتات هذه الاصقاع في نهاية الغنى . ومن هذا النبات تمتص الحشرة جرثومة الداء . وبعد ان تُدخلهُ في جسم الصحيح البدن يطرأ عليهِ الطارئ المشؤوم » اه

وتحقيقي يخالف ايضًا مذهب من ينسب تلك الحبّة الى الماء والهواء والازهار والنخيل ونحو ذلك من هذا القبيل ولهذا أُعيد الكلام لمزيد التأكيد : « ان حبّة بغداد مرض معدٍ وتنتقل عدواه الى حيث تذهب جراثيمهُ وعلى من تقع عليهِ من الآدميين مهما كان موطنهُ او عمره . وعليهِ فليست الحبّة من الامراض التي تصيب الفرد من الناس ولا من جنس المرض المتوطن كما يظنهُ البعض او كان يظنهُ . لان الجرثومة الممرّضة تنتقل وتطعن الى شأوٍ بعيد وقد رأينا ما يثبت كلامنا هذا ان الطبيبَين بوانه (Boinet) وديره (Déperet) لاحظا الحبّة في اناس لم يتغربوا عن فرنسة ابدًا لكنها انتقلت بالعدوى اليهم عند مجاورتهم الجند المصابين بها من الآتين من تونس

بقي عليَّ ان اذكر عاملًا آخر من عوامل العدوى وهو من الأهمية بمنزلة رفيعة ولهذا أُشبع الكلام عنهُ .

ان اغلب المصابين بالأخت هم الولدان واذا بلغت طور التقيُّح علتها جُلبة ثخينة وهي تسقط كلما خلفتها جُلبة جديدة . واذا سقطت يبست وصارت هباءً منثورًا مبثوثًا في الهواء ثم ان هذا الذرّ الحاوي الجراثيم اليابسة يتساقط على جرح او قرحة او سحج او خدش او نحو ذلك او غيره من انواع تفرُّق الاتصال . وعلى هذا الوجه يَعري الانسان ضيفًا ولا يدري بهِ . واذا مضت ايام وهو على هذه الحالة شعر بهِ وللحال يشعر ايضًا بثقل وطأتهِ . واذ ذاك يراهُ يعدّ شيئًا فشيئًا من اطنابهِ في غضّ اهابهِ ويبدو ذاك تفرُّق الاتصال قرحة سيرُها سيرُ الاخت وفصولها فصول هذه الحبّة . وهي من هذا القبيل تشبه الجدري وعلى مثل هذا الوجه تُفسَّر كيفية ظهور الحبّة على بعض الناس وهم لا يعرفون كيف وصلت اليهم . والتحقيق الآتي يكون لك بمنزلة دعامة تدعم بهِ يقينك

اخذتُ شيئًا من الجُلبة وحللتها بالماء المقطر ثم لقّحت بها غلام صيدليتي وأفرغتُ كلّ وسعي في اتخاذ الوسائط المضادة للتعفّن فظهرت على جلدهِ بثرة ثم انتقلت من طور الى طور على حدّ ما يُرى من الاخت الاعتيادية من التطويرات من التهاب وتقيّح وندب

غير انَّ شفاءها تمَّ قبل ان يتمَّ شفاء الاخوات الطبيعية . والمميّز الاعظم لحبَّة حلب هو انها تحدث ابدًا اكتظاظًا في العَدَد وان بلغ امتدادها مبلغًا عظيمًا

وزد على ذلك ان سُمّية الحبَّة الحلبيَّة تبقى فيها ما شاء الله وهذا الامر يجهلهُ اغلب الناس . ولهذا يجب على الممرّضين ان يغسلوا جميع الامتعة والالبسة التي اتخذها المصاب بالاخت والّا فانَّ المرض يبقى متزويًا الى ان يحين له فرصة فيثب ولا وثبة الظليم الجافل

وللعدوى طور حضانة طويلة المدَّة فاذا حدث تلقيح الجرثومة لجسم ووافقتهُ الظروف والاحوال يظهر فيهِ الفساد بصورة بثرة واحدة او بثور متعدّدة متجاورة او متباعدة ولا يصحب ذلك كلهُ شيء من العواقب الوخيمة كما يُرى في سائر انواع المعفونات . وبالعكس فهذه المعفونة ترجع بعض الاحيان على عقبها مدحورة اذا كانت الدوافع (phagocytes) عن ذلك المحل شديدة البأس صعبة المراس . ثم يحدث باثر تلك الموقعة بثرة ضعيفة لا يُلتفت اليها وتبقى بضعة اسابيع لا تؤذي المصاب بها بشيء . يُذكر بخلاف ما يؤكدهُ بعض الاطباء . انهُ من اللازم اللازب ان تدوم كل حبَّة سنة واحدة بدون زيادة ولا نقصان

هذا واني لا اختلق هذه الاقاويل بل اليك بحرفهِ المعرَّب ما قالهُ بهذا الصدد حضرة الطبيب كرادو : « ومهما زعم الزاعمون ان الحبَّة تنتقل من طور الى طور في مدَّة سنة اني أؤكد كل التأكيد ان هذه المدَّة قد تتردَّد بين ١٠ شهور و ١٨ شهرًا » . وهذا لا ينفي قولي الاول اي انها قد تدوم بعض الاحيان ٢٤ شهرًا او ٣٠ او ٤٠

٣ في تلقيح الحبَّة

اليك اختباراتي بهذا الصدد وهي اني اخذتُ شيئًا من المِدَّة عن بثرة أُمّ ثم لقَّحتُ بها اربعة من جيراني فكانت فيهم النتيجة واحدة اي ظهرت فيهم اعراض مَرَضيَّة واحدة وهؤلاء الاربعة كانوا ممَّن أُصيبوا بالاخت في صغرهم

واوَّل هؤلاء الاربعة كان الخواجا يوسف كش فلقَّحتُهُ بالمدَّة في ساعدهِ الايمن في ١٣ شباط سنة ١٨٩٦ وما مضى على الحبَّة ٢٤ ساعة الّا وظهرت بثرة ثم تحوَّلت نقطة وكان لون جُليلتها أسمر أدكن وبعد ١٠ ايَّام برئت بالتمام

وكان الثاني الخواجا نصوري جرجي ولقحتُهُ في ذلك اليوم عينهِ في مِعصَمِهِ وظهرت

عليه نفس الظواهر التي ظهرت في الأوَّل . الَّا ان الادوار الثلاثة من التهاب وتقيُّح وتدَّب بانت فيه اتمّ البينونة وطالت مدتَّها وكانت الجلبة اثخن من الجلبة الاولى وأمسك بالحبَّة . وكان لونها اغبر على سُمرة وشفي منها بالتام في اليوم الثاني من شهر اذار من تلك السنة

وكان الثالث زيًّا هرمز وكان تلقيحهُ في ١٨ شباط سنة ١٨٩٦ في الجانب الوحشي من معصمه الايمن وفي اليوم الثاني ظهرت نقُّاطة محاطة بهالة حمراء. وكانت الجلبة سريعة السقوط وشفي منها في ١٢ من الشهر التالي من تلك السنة

وكان التلقيح الرابع لعجوز في ساعدها وكانت الاعراض نفس الاعراض التي رُئيت في الاشخاص المتقدم ذكرهم الَّا انَّ مدَّة الشفاء طالت عليها ومما ذكرناه الى هنا يثبت لك ان تلقيح العُدّ هو امر مقرَّر وليس فيه ادنى ريب . وزد على ذلك ان هِكْمَن (Hickmann) يشهد لك بالامر في كتاب الطبّ والعلاج لانَّهُ زاول التلقيح للحيوان بل وللانسان ايضًا وفازت اختباراتهُ بالقدح المعلَّى

٣ في تلقيح الحبَّة بنفسها (Auto-inoculation)

ليس تلقيح الحبَّة بنفسها امرًا مقررًا بل انهُ من العلامات المميّزة لها. هذا والمرضى انفسهم يثبتون لنا هذه الحقيقة الراهنة لانني حينما كنتُ اسألهم عن عدد الحبَّات التي أصيبوا بها كانوا يقولون لي ما كان لنا الَّا ثلاث او اربع لانَّنا كنَّا نخاف من حكّها لئلَّا تمتدّ الى ما يجاورها

ولقد سمعت عدَّة آباء عيال يختمون قولهم هذا بما يأتي : « لقد ضمدتُ اخوات ولدي بلصقةٍ لكي ابعده عن نتائج حكّها المشؤوم وبالتالي عن سريانها وامتدادها الى بقيَّة جسمه »

او انهم يختمونهُ بما معناه : « لقد ألبستُ ولدي قفازًا لكي أقيهُ من آلام حبَّات جديدة » . ومن ثم يتَّضح امتداد سريان هذا الداء بنفسه وان الجميع يعرفون هذه الحقيقة . ولهذا لا يحسن بالطبيب ان يتأكد بنفسه هذا الامر ليثبّت صحة التلقيح بنفسه بما انَّ جميع المرضى واهاليهم هم لسان واحد لينطقوا بذلك

واما امثلة امتداد سريان الداء بنفسه فهي لا تُعدّ . من ذلك ان واحدًا اسمهُ رزوق حنا جاءني وعليه ٥٥ حبَّة متفرقة المواطن من جسمه كله . وقال لي ان اغلب خروج

هذه الحبوب من الحك . وقد لاحظتُ ان اغلب خروج هذه الحبوب البنات المتولدة من الأم لا تعور في الجلد بل تضرب خباءها على البشرة وتجترئ بهذا القدر

وبخصوص امتداد التلقيح بنفسه استلفت الانظار الى ثلاثة امور مهمة وكلها تثبت اثباتاً قوياً حالة فساد الحبة التي ابحث عنها بعيد هذا

امّا الامر الاوّل فهو انّ الحبوب الناشئة بعد الأمّ هي اصغر من هذه واقلّ منها مدةً . وبعبارة اخرى ان احداث الالتهاب في الثانية اخفّ وطأة من مثل هذه الاحداث في الاولى

امّا الامر الثاني فهو ان خفّة الوطأة في الحبوب التي تظهر اليوم أبيَن للعيان من خفتها في الحبوب التي ظهرت قبلها وبعبارة اخرى : ان خفّة اعراض الالتهاب تسير بالتناقص كلما قرب عهدها حتّى انهُ في دور تقيّحها ان حكّ نفسهُ المصاب بهذه الأخت فلا بُدّ من ان يرى على جسمه اخوات جديدة تختلف وطأتها باختلاف عهد ظهورها اي تبدو شديدة ثم تغدو خفيفة

امّا الامر الثالث وهو أفيدها ان كل جرح او خدش او سحج او تفرّق اتصال في الانسان ينقلب بعد ظهور الحبّة حبة مستقلّة بنفسها مما لا مناص منهُ . وسببهُ هو ان دم المصاب قد ضعف كلهُ بفعل هذا الداء وهو يحوي في ذاته الجرثومة المولّده لهُ وهذه الجراثيم لا تزال تروغ روغان الثعلب منتظرة الهجوم على بشرة المريض فاذا واتتها الفرَص انتهزها ونادت بفوزها وانتصارها

٤ مكروبيّة الحبّة

لقد اتّضح اليوم ان لهذا المرض الجلدي مكروباً كما لسائر الامراض المكروبيّة وكفانا برهاناً شهادات الاطباء على اختلاف طبقاتهم ممّن حازوا السبق في هذا المضمار فان بوانه (Boinet) وديپره (Déperet) قد حصلا على استنباتات ذُرَيرات (micro-coccus) منتظمة انتظاماً شفعياً فلقّحا بها الارانب فتولد عنها تقرّح شبيه بالتقرّح المتولد في الانسان اذا لُقح بمدّة هذه الحبّة

ولاحظ دوكلو (Duclaux) في دم المرضى لا في الخلل نفسه حُبَيبات متجمعة تجمعاً ثنائياً فلما لقّح بها الارانب انشأت اعراضاً عامة ثقيلة شبيهة بأعراض حبّة بسكره (Biskra) . فجراثيم دكلو الحيويّة وجدها ايضاً هيدنريخ (Heydenreich) وقد توصّل

للوار (Leloir) وشنتمس (Chantemesse) الى نفس نتائج دكلو . وقد لقّح هكمان (Hickmann) بعض حيوانات فناز بالنجاح لا بل وقد فعل ذلك واصاب مثل هذا الفوز في الانسان . امّا انا فقد لقّحتُ عدّة تلقيحات فلم يكن نجاح سعيي دون نجاح رصفائي على ما أسلفتُ الكلام فوق هذا

ومن ثمَّ فحبّة بغداد هي من العلل المكروبيّة بدون ريب وجرثومتهُ المولدة لهُ من نوع الحُبيبات او الذُرَيرات المتجمعة تجمّعًا ثنائيًّا وهو ذو مقاومة لأنَّ يَبَسهُ لا يُفنيهِ ويحتاج الى الهواء ليعيش وهو اشدّ مقاومة من مكروب الجدري . الّا انَّ محلّات الاول اكثر ونتائجهُ اخفّ خطرًا من نتائج الثاني . وعدوّهُ الازرق السليماني . والحاصل ان هذا المكروب لا يتحوَّل من حالة الى حالة في تقدمهِ المألوف كما توهمهُ بعض الباحثين عن الامراض الجلدية

• عُفونية الحبّة (Infectiosité)

ان حبّة حلب من الامراض العَفَنيّة . ويدعم هذا الرأي ثلاثة امور اصليّة وهي التنفُّط وفحص الدم وفقر الدم

١ً التنفُّط (éruption) اذا استقنّت مكروب الحبّة موطنًا مقاومًا لهُ رايت بعد ذلك ظهور الفساد فيهِ ببثور متجاورة او متميّزة بدون ان يرافقها اعراض مضنكة . الّا انهُ اذا اتّفق ان تكون الدوافع (الفاغوسيت) شديدة الفعل يولّي العَفَن مدحورًا مقهورًا او يترك اثرًا هو بثور خفيفة لا تستحق الذكر ولا تدوم مدّة معدودة اي انها تتردّد بين عدّة اسابيع الى ثلاثة او اربعة اشهر بدون ان يقلق لها المُصاب

فكم من مرّة قد لاحظ الباحثون على جلد الآدميين بثرة صغيرة لا يتجاوز قدرها قدر الحمصة وليس لها من حبّة حلب لا هيئتها ولا طبيعتها . وهي تقف وقفة الجبّار العنيد مقاومة كل علاج او تضحك من ذلك مدّة عدّة اشهر وهي ليست بشيئًا آخر الّا الحبّة المذكورة بعينها . ومن بعد ان تمضي هذه المدّة تظهر بكل ظواهرها المألوفة

وربّما بقي العَفَنُ في حالة خفيّة مدّة طويلة ولا يخرج من زوايا خفائهِ الّا عند ضعف الدّوافع (الفاغوسيت) في كافة الاعضاء فهذا ما اصطُلح عليهِ بالتفريخ الخفي ومدّتهُ لا تُعرف معرفة مثبتة اذ لا حدّ لها

وهذا ما يُبيّن لك كيفيّة ظهور مثل هذه الحبوب في الافرنج الذين من بعد ان

اقاموا في بلاد الشرق مدَّة ورجعوا الى اوطانهم تظهر فيهم تلك الحبوب حينما لم تظهر فيهم طالما كانوا في بلاد الغربة

واغلب ما يكون التنفُّط او التبثُّر متباعدًا وقلّما يُرى متجاورًا . ولم ارَ في طول مدَّة بحثي عن الحبَّة أناسًا فيهم حبَّة واحدة . وهاك بهذا الصدد ايضًا شهادات لبعض مشاهير الاطبَّاء .

قال اصحاب كتاب الطبّ والعلاج (١ لمن النادر ان تُرى حبَّة وحدها في الانسان بل دائمًا يرى طائفة منها عددها من ٢٠ الى ٣٠ الى ٤٠ بل اكثر . وقال دبرون : « ان حبَّة البلاد الحارَّة لا تكون الاَّ عديدة » (٢

وقال كَرادو السابق ذكرهُ انهُ وان كان بمنزلة قاعدة عامَّة ان الحبَّة عند اهل حلب لا تكون الاَّ عديدة حتَّى انهُ قد يُعدّ منها في شخص واحد من ٢٠ بل الى ٥٠ الاَّ اني اظنّ ان سبب تسميتها بالذَكَر للحبَّة الوحيدة وبالانثى للحبَّة العديدة الشائعة عند الاهالي هو من باب المجاز واختلاف عددها لا يؤثّر شيئًا على امتدادها وانتشارها بما انَّها في بعض الاحايين تبلغ مقادير عظيمة في الحبَّة المتعدّدة وان لم تكن متجاورة بعضها لبعض اه . وقال بروق (Brocq) : « يمكن ان لا تخرج الاَّ حبَّة واحدة الاَّ انَّ القاعدة انها تكون متعدّدة »

والحبَّة في كلتا هيئتيها المتباعدة والمتجاورة لا تظهر دفعةً واحدةً بل الواحدة بعد الواحدة وبُعَدٍ متفاوتة سترى ذلك بُعيد ذلك

وكذا يُقال عن التقيُّح والتقشُّش (تيبُّس البثور) فانهما يتبعان ظهور الحُبوب ويشذّ من هذا الامر الخازيريُّون والبلغميُّون (او المبرودون) والضعفاء فانَّ ظهور البثور فيهم يحدث فجأةً . وتَسِمُ جسمهم بِسمَةِ الفساد الذي لا مناص لهم منهُ فيرى المصاب بالحبَّة اصفر الوجه وقوَّتهُ تتناقص فيه وليس لهُ المشتهى كما في السابق ولسانهُ وسخ ويشعر بتوعُّك وربَّما شعر بحركة من الحمَّى تكون فيه طول مدَّة طور التقيُّح

٢ فحص الدم — ان الدم يُعدّ بيّنة دامغة تؤيد لنا عفونة هذه الحبَّة . اذا فحصنا

(١ Traité de Médecine, par Charcot, Brissaud et Bouchard.

(٢ Maladies des Pays chauds, par de Brun.

بالكبرة قطرة دم أُخذت من اصبع صاحب الحبة تُرى جرثومة الداء الخاصة بالحبة متجمعة تجمعًا ثنائيًا . وهذا ما قرّره دكلو وهيدنريخ وشنتيس وللوار في المجامع العلمية . والجرثومة المذكورة هي من النوع المسمّى بالكوكس اي الحبيبة وتوجد في الداء في حين التقيّح

امّا وجود هذه الحبيبة في طور التفريخ وفي طور التقشّش فمّا هو تحت الريب لان الباحثين لم يقعوا عليها في هذين الاوانين . واني ايضًا اقرّ صاغرًا بكوني لم اتوفق الى العثور على ما لم يعثر عليه رصفائي . وزد على ذلك ان المرضى لا يخطر في بالهم ابدًا ان يطلبوا الطبيب في هاتين المدّتين

٣ فقر الدم — من تنزل بهِ الحبّة يحلّ بهِ ايضًا فقر دم متناسب لحالتهِ . وهو ظاهر كل الظهور في الخنازيريين والمبرودين والضعفاء والمتماثلين من المرض والاعلّاء . وهذا الفقر يبلغ اقصاه في طور التقيّح (التتمة للقادم)

الحرب امس واليوم

قد ارسل الينا جناب الكاتب الاديب حكمت شريف من افاضل طرابلس الشام هذه القصيدة وصدّرها بتلخيص معانيها نثرًا :

كيف كانت الحروب في الجاهليّة ؟ . السيوف والرماح في زمان الظلمة . ماذا جرى في عصرنا ؟ . المرتين والموزر والمدافع لا شيء . النسّاف « التوربيل » والالغام البحرية ؟ . سفينة كجبل غرقت بمن فيها في لحظة . نداء الشباب من الاعماق . الشكوى للأمّ الثكلى . هل من رحيم ؟ . الطفل لا يفرح فالشابّ لا يمرح . الحياة والموت رهان . هل الحياة شقاء ؟ . متى تبطل الحروب ؟ . . . .

. . . .

ماذا تقول لزمان الهمجيّة ؟ . وماذا يقتضي لترقي ذُرَى المدنيّة ؟ . نشيد كل ضمير رشيد :

ما أَحيلى الحروبَ في الجاهليّه ما احيلى سيوفها الهنديّه
حين كانت حروبها برماحٍ مُرهَفاتٍ كقامة سمهريّه

وخيولٍ دُهمٍ كليلٍ بهيمٍ ودروعٍ خُضرٍ لها زَرَديَّهْ
كانت الحربُ والطعانُ كلعبٍ في حروب «البسوس» في الجاهليَّهْ
فارسُ القوم بالبراز جديرٌ لا يُبالي اذا أتتهُ المنيَّهْ
دع زماناً ندعوه جهلاً بعلمٍ انهُ ظلمةٌ للانسانيَّهْ
والتفتْ نحو ذا الزمان تجدهُ بحروبٍ هدَّت صروحَ البريَّهْ
ما كفاهم هَوْلُ المدافع حتَّى جاءنا «مونزرٌ» بشرِّ بليَّهْ
كلُّ هذي يا صاح ليست بشيءٍ عند ذاك «النسَّاف» في البحريَّهْ
اين منها «الألغام» في البحر ممَّا فاق في الهُلك كل ذي ناريَّهْ
بينا مركبٌ يسيرُ بحرٍ مثلَ طيرٍ يطيرُ في البرِّيَّهْ
فتراهُ بطرف لحظةِ عينٍ غاص في اليم هاويَ الأبديَّهْ
ويُنادي الشبابُ في القعر ماذا ذَنبنا في الحياةِ والبشريَّهْ
آه أُمَّاهُ اين دمعُكِ يوماً يُطفئ النارَ من جسوم طريَّهْ
آه أُمَّاه فانظري لجسومٍ إربَاً قُطِّعت شظًّا شظيَّهْ
آه أُمَّاه اين وجهُكِ حتَّى نلقى موتاً براحةٍ وهنيَّهْ
آه أُمَّاه نلتقي يوم حشرٍ بدموعٍ من العيون سخيَّهْ
أيها الناس هل تروا من رحيمٍ لألوف صرعى بنارٍ صليَّهْ
أيُّها الطفل ان فرحتَ قليلاً سوف تلقى ما قد لقينا عشيَّهْ
انَّما الموت والحياة رهانٌ وحياةُ الانسان حقًّا شقيَّهْ
فاذا كان في القلوب انعطاف أبطلوا الحرب رحمةً بالبريَّهْ

. . . .

قتلُ نفسٍ في الكون اعظمُ اثمٍ ما تقولون في الوفِ حبيَّهْ ؟
ما يقول القرَّاء طرًّا بقرنٍ سالفٍ قد سمَّوه بالهمجيهْ ؟
اكذا مقتضى التقدُّم يقضي أم بهذا نرقى ذُرى المدنيهْ ؟

مياه لبنان البحريَّة

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيَّة في المكتب الشرقي (تتمَّة)

٣ أكثبة الرمل

وممَّا ينوط بدرس المياه الساحليَّة في لبنان أكثبة الرمل التي تتراكم على الشواطئ بتعمل البحر. وتُرى هذه الكثبان على سيف بحرنا المتوسّط وهي قليلة الارتفاع لضيق دائرته وقلَّة ما يجري فيهِ من المدّ والجزر فلا تستطيع الرمال ان تجد مداها من الحركة والانتشار. امَّا تكوُّنها فيحدث عادة في الشواطئ الرمليَّة القليلة الانحناء. فتنسف الرياح دقائقها وتنقلها من مكان الى آخر حتى اذا وجدت في طريقها حاجزًا من صخر او نبات تجمَّعت حولهُ ولا تزال تنمو شيئًا فشيئًا الى ان تصير على شبه ربوةٍ. ثمَّ تهبُّ الرياح وتلعب السوافي في اعالي هذا الكثيب التي لا تمسُّها امواج البحر فتذري رمالها اليابسة وتنقلها الى ما وراء هذا التلّ فيتكوَّن منها تلٌّ آخر وهلمَّ جرًّا. امَّا الامواج فتناطح سفح الكثيب الاوَّل وتنقل اليهِ رمالًا جديدة تعلو وتتكوَّم فتعمل الرياح فيها كما فعلت سابقًا. وهكذا لا تزال هذه الهضاب الرمليَّة في حركةٍ دائمة تتقدَّم الى الامام دون انقطاع. ويكون امتدادُها بأن تجري الى حيث تجد نتوءًا من الارض او عائقًا فتجتمع حولهُ رُبًى جديدة مستندة الى اعطاف الاكثبة السابقة. وهي لا تلبث بعد حين ان تولّد آكامًا اخرى فتنتصب على شبه سلسلة من التلال المتحركة يفصل بينها ألهاب واودية ضيقة مستطيلة ١)

على انَّ الآكام الرمليَّة التي تُرى في سواحل بحرنا المُقفل الخالي من الجزر والمدّ ليست كأكثبة البحار الواسعة. كما انهُ لا اثر لهذه التلال في السواحل الوطيئة المتركبة من الموادّ الصلصاليَّة او الصلبة التي لا تحركها الرياح والامواج بسهولة كفعلها بالرمل وانَّما تتكوَّن فيها سدود من الحصى التي تقلبها الأمواج على بعضها الى ان تصقل بالاحتكاك وربَّما تكوَّمت آكامًا دون التلال الرملية علوًّا واتساعًا

وان سرَّحنا البصر في سواحل بلادنا وجدنا مصداقًا على قولنا اذ لا يوجد من هذه

---

١) راجع ما كتبهُ روكلو في كيفيَّة تكوُّن هذه الاكثبة في كتابهِ « الارض » (ج ٢ ص ٢٤٦)

النشوز الرمليّة الّا في بعض نقطٍ معلومة تمرح فيها الامواج والرياح معاً كمثل اشباه جزائر صور وبيروت وطرابلس . وكثبان الرمل لا تتكوَّن في كلّ هذه الجهات من جهة الشمال بل من الغرب حيث الشواطئ السفلى الرمليَّة فتنسفها الرياح الغربيَّة المتواصلة فتتراكم بفعلها . وهذا ممَّا يلوح خصوصاً في نواحي بيروت فترى ثمَّت توارد الرمل الذي يزحف بخيله ورجله ويغطّي سهولاً مخصبة تغوص في وسطها بيوت واشجار لم ينظر الناظر غير اعاليها . وكذلك طرق العجلات فان الرمال تعلوها بحيث لا تعود تصلح للسير

على انَّ لهذا الداء دواء اذ يُمكن ان يُجعل حدٌّ لعمل الرمال بالزراعة ونصب الاشجار التي وحدها تقوم بازاء هذا العدوّ الزاحف فتقوى على ذرَّاته ودقائقه . ومن العجيب العُجاب انَّ في هذه الرمال مع يبوستها قوَّةً مخصبة ومائيَّةً كافية لغذاء بعض النباتات التي لا تؤذيها الرياح البحريَّة المشبَعة ملحاً وهي تمدّ جذورها الى اعماق بالغة لتمتصّ الرطوبة التي تحتاج اليها لحياتها . فمن ذلك بعض النباتات الزاحفة الطويلة الاغصان على شبه الحبال كاللولب تراها تمتدّ على وجه الارض كشبكة تزينها بزهورها واوراقها . ومن النباتات الرمليَّة اشجار الميسوزا والصُّبَّير وبعض الشجيرات المشوكة وكلُّها يردُّ غارات الرمل ويمنعهُ عن ان يتعدَّى طورَهُ

لكنَّ هذه الوسائط ربَّما قصرت عن ادراك الغاية او بطلت منافعها كما يجري كثيراً من النبات الغضّ الذي يأكلهُ الماعز . فلا بُدَّ من اتّخاذ احتياطات اعظم بنصب اشجار تقوى على السوافي وتسدُّ الطريق في وجه الرمال . وهذا ما قامت بهِ الدولة الفرنسويَّة في احدى مقاطعاتها التي كثرت فيها الرمال وهي مقاطعة غسكونية المجاورة للاوقيانوس فانَّ الرياح مع الامواج البحريَّة كانت تسفي عليها كميَّة من الرمال كادت تسجيها كالكفن بعد ان غمرت قسماً من قراها . فارادت الحكومة تلافي هذا الامر فباشرت بنصب غابات الشجر منذ نصف قرن وهي لا تزال جارية في العمل وهي تجزءُ عمَّا قليل فصارت كثبان الرمل في بلاد غسكونية مورداً للثروة بعد ان كانت آفةً متلفةً . فانَّ غابات تلك العاملة الواقعة جنوبي غربيّ فرنسة تُعتبر اليوم كنزاً لها لما يستثمر منها من الخشب وما يُستخلص من الموائع الراتينجيَّة وهي تساوي في السنة مئات الوفر من الفرنكات . امَّا الغابات نفسها فيثمّنها العارفون بخمسة وعشرين الى ثلاثين مليوناً . ومن الفوائد التي احرزتها تلك الجهات بفضل الغابات اعشابٌ وافرة ينبتها الرمل الرطب

وهي تصلح للمواشي . وكذلك قد تلاشت المستنقعات التي كانت في تلك الانحاء لأنَّ جذور الشجر امتصّتها شيئًا فشيئًا الى ان يَبِست وصار الهواء بفنائها نقيًا طيّبًا واضحت الغابات على هذا النمط زينةً وشفاءً معًا

وهنا فليسمح لنا ارباب الامر ان نستلفت انظارهم الى رمال بيروت التي يمكنها ان تخصب مدينتنا وتزينها اذا ما أعملوا فيها ايدي الزراعة . واوّل ما ينبغي فعلهُ ان لا يُرخَّص للبدوان وللرعاة ان يرعوا فيهــا مواشيهم . فانَّ رمال بيروت في الربيع تأتي بشيءٍ من الكلإ وبعض الانبتة التي يمكنها ان تنمو وتزكو لولا يتجوّل فيها هؤلاء الرعاة بقطعانهم فيحوّلونها الى رمالٍ جرداء تتلاعب بها الرياح وتنشرها على انحاء المدينة في بعض فصول السنة بدلًا من ان تكون بقعةً خضراء غضراء تروق العين بنضارتها وتخصبها بثروتها

وانفع من ذلك ان تُغرس انصاب الصنوبر فانَّ هذا الشجر كما حقّقتهُ الاختبارات المتوالية شرقًا وغربًا انجع دواء لهذا الداء واقوى عامل على ردّ غارات الرمال . ومن ثمَّ لا يؤاخذنَّ الانسان غير نفسهِ ان تغاضى في استعمال هذه الواسطة القريبة المنال التي من شأنها ان تُصلح تمامًا ملّةً وهو السبب الاوحد في مــا يجري من الخلل في توازن قوى الطبيعة المتّسقة وفقًا لنظام العناية الصمدانيّة

ويؤيد قولنا ما كتبهُ في هذا الصدد كلُّ الذين بحثوا عن تكوُّن الاكثبة الرمليّة فانّهم يتّفقون في القول بان هذه التلال حديثة النشأة وانَّ في مكانها كانت سابقًا تمتدُّ الاحراج والغابات فلمّا قُطعت اشجارها استولت عليها الرمال . وهذا قول عمومي يصحّ في السواحل الاوربيّة كما في شواطئ بحرنا . ومن تصفّح التواريخ اليونانيّة او اللاتينيّة لا يجد ذكرًا لهذه الروابي الرمليّة الى عهد القرون الوسطى بل تراهم على عكس ذلك يشيرون الى الغابات القائمة مكانها او الى عمارتها

انَّ في نصف الطريق الجــارية بين صيداء وبيروت في المحل المعروف بنبي يونس بنايةً قديمة تراكمت عليها الرمال فلم يُرَ منها الّا قبّتها البيضاء . وهي بناية لسلاميّة بلا شكّ تدلّ هيئتها على اصلها وزمنها . فتكون الرمال توارَدت عليها حتّى كادت تغمرها بظرف بضع مئات من السنين . وكذلك اذا سرت شمالًا الى نهر الغــدير على مسافة

نحف ساعةٍ جنوبيّ خلدة بلغت موضعاً يُدعى القصر كان بقربهِ محلّة تغطّيها الرمال في عهدنا والمرجّح انّ ذلك حدث بعد الاسلام فيكون عمل الرمل فيها حديثاً. وفي نُقط اخرى من الساحل عند رمال بيروت آثار تدلّ على عمران سابق وحداثة عهد الرمال

وقد زعمَ بعض الكتبة انّ اصل بيروت من غابة صنوبرها وان معنى اسمها الصنوبر. وهو قول ضعيف والرأي الأسدّ انّ اشتقاق اسمها من البئر ومعناها مدينة الآبار. لكنّ في هذا الزعم نفسه دليلًا على قدم غابات صنوبر بيروت وقد افردنا لذلك مقالة مستقلّة (راجع المشرق ١: ٩٣٦–٩٤١) حيث اوردنا عدّة شواهد على قولنا فلتراجَع فانها تثبت انّ قسماً من شبه جزيرة بيروت كان مزداناً بغابة من الصنوبر وبقيت هذه الحال الى القرن الثالث عشر كما يشهد على ذلك الشريف الادريسيّ اذ قال « بان غابة صنوبر بيروت اثنا عشر ميلًا في التكسير تتصل الى تحت لبنان » وهذه المسافة الواسعة لا تدع مكاناً للرمال كما نرى اليوم ما لم يُقَل انّ هذه الغابة كانت تشغل السهول التي فيها اليوم مزارع الزيتون وهي المعروفة بصحراء الشويفات. وهو قول بعيد لانّ هذه المزارع كما يظهر قديمة ايضاً ورد ذكرها فيما لدينا من سجلّات وتواريخ القرون المتوسّطة. ويكفي لردّ هذا المزعم انّ القناة الرومانيّة المعروفة اليوم بقناطر زبيدة لم تُتَّخذ غالباً الّا لسقي هذه المزارع الواقعة في ارباض البلدة. وبقيت غابة بيروت زاهرة غيناء بعد الادريسيّ فانّ صاحب تاريخ بيروت (ص ٥٢) ليس فقط يذكر ما كانت عليه سهول بيروت من الخصب والريع بل يروي انّ اصحاب الامر ابتنوا من صنوبر المدينة عمارةً لمحاربة اسطول صاحب قبرس وقد وصفها بما حرفهُ: « قيل انهُ لم يُعهد قطّ عمارة مثلها عظماً وسرعةً وكثرة صنّاع وقوّة عزم ». ومع هذا الوصف البالغ للعمارة لم تنفد الغابة لانّ المسافرين الذين زاروا بلاد الشام في القرنين الخامس عشر والسادس عشر يذكرونها بيد انهم لم يجدوها في اتساعها السابق. وعندنا انّ الرمال اخذت مذ ذلك الحين اعني بعد تجهيز عمارة بيروت في اواخر القرن الرابع عشر ان تتعدّى طورها. لانّ ما قُطع من الصنوبر لم يُعوَّض عنهُ بغرس اشجار غيرها وربّما قطعوا منها غيرها بعد ذلك كما فعل محمّد الجزّار (١). ومن ثمّ لم تجد الرمال ما يتعرّض لها في سيرها فتراكمت الى ان وصلت الى حدّها المعروف.

(١) راجع ريتر (Ritter, XVII, 431)

في زماننا وهو امرٌ يوسف لهُ ونتمنّى ان اصحاب المروّة يتلافون الامر وقد بيّنّا لهم ما وراء هذا الاصلاح من الفوائد والارباح الطائلة مع ما ينجم منهُ من الزينة للبلد والتنظيف للهواء.

٣ ارتفاع الساحل البحريّ

انّ ساحل فينيقية منذ ابتداء طور العالم الرابع لم يزل يرتفع شيئًا فشيئًا الى الازمنة المعروفة بالتاريخيّة · وهذه نتيجة ابحاث جيولوجيّة مقرّرة اثبتها حضرة الاب زُموفن في كتابهِ رسم لبنان الجيولوجي (٢ نلخص هنا ادلّتهُ مع اضافة ملاحظاتنا الشخصيّة

قد اتسعنا في مقالتنا عن مجاري لبنان النهريّة في وصف السدود التي تُرى في مصبّ كلّ انهار لبنان واثبتنا اصلها بفعل مياه البحر والانهار معًا · وهنا لا نرى بدًا من زيادة عامل ثالث لظهور هذه الحواجز ألا وهو انحدار المياه البحريّة عند ارتفاع الساحل الذي بتوالي الاعصار تأتّى تدريجًا وتصاعد · ومن الشواهد على ذلك انك ترى على طول الساحل سلسلة من الصخور تطفو الآن فوق المياه البحريّة طفوًا يختلف تحديد ارتفاعهِ وهذه الصخور في اعلاها مسطّحة دلالةً على فعل الامواج فيها اذ كانت غائصةً في المياه · وفي امكنة اخرى ترى كتلًا من الحصى المصقول باحتكاك المياه على بُعد من الامواج او على نشوزٍ لا تبلغها حتى في الانواء الشديدة · فموقعها دليل على ارتفاع السواحل مع ما يصحبهُ من تقهقر المياه

وزد على هذه البينات العموميّة دلائل اخرى تُستفاد من فحص بعض السواحل اللبنانيّة · فمن ذلك انّ الصخور التي بُنيت عليها صيداء في سالف الاعصار قد ارتفعت كما يلوح ذلك من قلّة المياه في مرسى تلك المدينة · وكذلك امام المدينة عينها جزائر وصخور يُرى مثلها امام صور وطرابلس وكلّها حديثة العهد متركّبة من الرمل المتلاصق المتصلّب والمعجون بالاصداف البحريّة وهي كانت سابقًا في قعر المياه فلمّا تحدّرت المياه ظهرت هذه الصخور متصاعدةً فوق سطح البحر

ولنا شاهد آخر على قولنا في المراسي الفينيقيّة فانّ ما يُرى فيها اليوم من الصخور ثمّ من تراكم الرمال انّما سببهُ الاوّل ارتفاع الساحل · وان اعترض احد علينا بقولهِ انّ السفن الفينيقيّة القديمة لم تكن لتحتاج الى غور عميق من المياه اذ يفيدنا التاريخ بانها

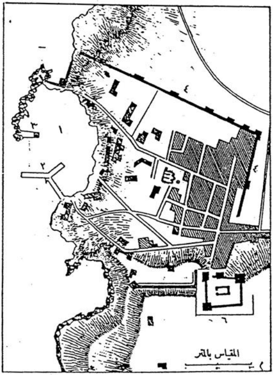
٢) راجع Zumoffen: *Esquisse géologique du Liban*, 52-57

كانت اشبه بقوارب كبيرة مسطّحة يمكنها ان تصعد النيل كالذهبيّات الى حدود الاقصر . اجبنا بأن الامر معلوم ولكن هيهات ان تصدق اليوم اوصاف المؤرخين للمراسي الفينيقيّة القديمة وهم يبالغون في ذكر رحبها وامنها للسفن امّا اليوم فلا تكاد هذه المراسي تشمل اكثر من احدى سفننا التجاريّة كما انها لا تقي المراكب من الرياح وانواء البحر . وانّما تلتجئ اليها فقط بعض السفن الشراعيّة الخفيفة . فلولا ارتفاع الساحل لما أمكن تعليل هذا الامر . وان قيل انّ هذه المراسي مُلئت بالصخور والاطلال كما زعم البعض عن فخر الدين المني . قلنا انّ هذا الواقع قد تناقلهُ قومٌ من الكتبة الحدثين ولم يسندوهُ الى مؤرخ ثقة . فلو صحّ لما سكت عنهُ كتبة زمانهِ او احد القناصل والتجّار الاجانب الذين كانوا يتاجرون في بلادنا على عهدهِ . والارجح عندنا ما قلنا وهو سبب طبيعيّ ثبت اليوم بالبحث الصحيح ومن ثمّ لا نرى سندًا لما ترويهِ العامّة عن فخر الدين من انهُ غمر مرسى صيداء بالاطلال والصخور

هذا وقد اشرنا غير مرّة الى قول الجيولوجيين بان بيروت كانت في الاعصار الغابرة جزيرة تحيط بها المياه بحيث كانت هذه المياه توصل خليج الخضر بوادي شحرور . امّا اليوم فبين هذين الطرفين سهول مخصبة ليس لوجودها تعليل آخر الّا ارتفاع تلك الامكنة . وكذلك قد وُجدت في امكنة شتّى صُبَرٌ من الحصى البحري المصقول والصدف منها على طريق الشام عند المطعم المعروف بلوكندة المطران وكذلك على منعطف الاشرفيّة عند مار ديتري وهذه الامكنة تتراوح بين عشرة امتار الى ٤٠ مترًا فوق سطح البحر فلا شكّ ان وجود هذه الآثار البحريّة دليل على انّ المياه كانت تغمر تلك المحلّات ثمّ تحدّرت بارتفاع تلك المواقع

وممّا سبق لنا قولهُ في مقالتنا عن مجاري لبنان النهريّة ان سطح المياه عند مصبّ نهر الكلب كان سابقًا اعلى منهُ اليوم وأيدنا رأينا بآثار السكك المصريّة والاشوريّة والرومانيّة وكلّها تُرى في نُقط تعلو الطرق الحاليّة . ولا نظنّ انّ الامم القديمة فتحت هذه الطرق في تلك المشارف الصعبة لولا أنها كانت مضطرّة الى ذلك بما وجدتهُ من العوائق الطبيعيّة في سيرها ولا سيّما ارتفاع المياه البحريّة والنهريّة معًا . وهكذا يجوز شرح نصّ اسطرابون حيث قال انّ نهر الكلب يمكن خوضهُ بالسفن وقد مرّ . وزد على ذلك انّ في الطريق الرومانيّة التي هنالك بقايا اصداف بحريّة وحصًى مدلوكة ملتحمة

يبعضها · وهو دليل على بلوغ البحر الى تلك النشوز في الازمنة السابقة للتاريخ · وعليهِ فتتّفق الادلّة على الطَّوْرين معاً · امَّا كون الطريقة المصريَّة فوق الطريق الاشوريَّة والطريق الاشوريَّة اعلى من الرومانيَّة ففي ذلك دليل ظاهر على انَّ تحدُّر المياه وارتفاع الساحل كان تدريجيًّا بكرور الدهور



رسم جبيل نقلًا عن المسيو راي

١ المرفأ ٢ بناية المرسى ٣ بقايا برج ٤ سور البلد ٥ كنيسة مار يوحنا ٦ القلعة

وكذلك ترى بين نهر ابراهيم وجبيل وبين جبيل والبترون جُثًى من الاصداف البحريَّة على علوّ عشرة امتار من سطح البحر حاليًا · وذلك مما يثبت ايضاً قولنا عن ارتفاع الساحل ثمَّ انّنا في مطاوي كلامنا عن أنفة (راجع آثار لبنان ج ١ ص ١٤٦) ذكرنا

لها خندقين عظيمين نقرا في رأسها الذي بقربهِ موقع البلدة . واليوم اذا اعتبرت قعر هذين الخندقين اللذين يفصلان رأس انفة عن البرّ وجدتهُ يابسًا لا يتّصل اليهِ البحر . وعندنا انَّ الامر كان على خلاف ذلك في عهد الفينيقيين وهم الذين قاموا بهذا العمل العظيم . ونحتوا الخندقين ليملأهما ماء البحر ويردّوا بهما غارات العدوّ من الجهة الشرقيَّة عن المدينة التي كانت حصنًا حصينًا . فان يبوستها اليوم تدلُّ على انَّ الساحل ارتفع فلم تعد المياه البحريَّة تتصل بهذين الخندقين

وكلُّ هذه الادلَّة والآثار التي جمعناها من امكنة شتَّى على الساحل الفينيقي مباشرةً من مصبّ نهر القاسميَّة الى نهر ابي علي . وهي تبرهن على انَّ الساحل الفينيقي ليس فقط في الازمنة السابقة للتاريخ لكن بعدها ايضًا لم يزل على تصاعُد متوالٍ والبحر على تقهقر وتحدُّر . وفي كل ذلك تتحقّق السُّنَّة التي وضعها الخالق عزَّ وجلّ فانَّ البحر لمَّا كان يطغي ويبغي فيدمّر بمياهِ الساحل صار لذلك فعل انعكاس من جهة الساحل بان ارتفع واعتلى فظهرت الحكمة الصمدانيَّة التي جعلت لقوى الطبيعة قوانين لا تتعدَّاها . وفي درس الجغرافية ما يكشف لنا القناع عن هذه الحقائق والسُّنن التي فيها نظام الخليقة كلها

العاب القمار

للشاب الاديب ميشال افندي الياس ساحه

اوضحنا في كلامنا السابق عن البورصة ومضارباتها (المشرق ٧ : ٧) المضارّ الناتجة عن اشغال البورصة والعاب المضاربات وأجلنا الكلام عن العاب القمار فايفاء بما وعدنا نخصص هذا المقال بالمقامرات وما ينوط بها

قد لا يخلو فردٌ في الهيئة الاجتماعية من عادةٍ يألفها وقت العطلة او ميلٍ ينصرف اليـهِ في ساعات الفراغ . والناس من حيث اميالهم وعاداتهم ينصرفون الى مذاهب شتَّى وذلك امَّا حسب معدنهم واستعدادهم او تبعًا لما توقفهم اليهِ الاحوال من طرائق التسهيل او لما يتمهَّد لهم من وسائط التشويق والترغيب

ومن شرّ العادات المتّبعة الآن القمار وقد عاينـا من انتشار هذا الداء القبيح وازدياد تداول العابه بين الناس ما كاد يجعلـهُ من جلّ الملاهي التي يسعى اليها العامة من كل فئـة ودرجة ليروّحوا بها النفس في ساعات الفراغ (كما يزعمون) . وينتمي لهذا الزعم بالاخص الفريق الاكبر من دُعـاة التمدّن في الزمن الاخير ممّن لا تُعرف لهم صفة من مزاولة هذه الالعاب سوى قتل الاوقات وتبديد الاموال او كسبها جُزافاً وبغير مطالب الكدّ والسعي . وذهبوا لا يبالون بحرمة الشرائع المنزلة ولا يردعهم تنديـد وسخط الرأي العام ولا يخيفهم عقاب القانون ولا صرامة احكام القضاء . . . !

والبعض منهم يخونهم السعد في اللعب ويلاصقهم النحس فيعمدون الى متابعـة اساليب الغش والاحتيال التي وان تصادف رواجاً في بعض الاحيان لكنها لا تخلو من الفضيحة فتسوم اصحابها خسفاً بالقريب العاجل

ونرى انّ اكثرهم من شدّة اليأس الذي يستحوذ عليهم يستسلمون كلياً للاقدار فيخاطرون بمراكزهم ولا نبالغ اذا قلنـا انّهم يطوّحون بما عليهم الى مخاطر الصدف والاتفاق . ولا شك انّهم يصبحون عندئذٍ فاقدين الادراك خالين من التمييز . واقوى دليل على هذا ان اغلب من كان على هذه الصفة يقضي به الحـال من شدّة عوامل اليأس والقنوط الى الجنون ان لم يكن الى الانتحار

نشأة القمار

القمار ودعاه العرب الميسر كان شائعـاً في الجاهليّة على هيئات متنوعة اقتبسوا اكثرها عن الفرس واهل الصين وفي ظهور الاسلام حُرِّم وأجمعت حكومات العالم على النهي عن القمار وعقاب لاعبيه وحظرت اشهر الاديان عن معاطاة اعماله وخطّأت ملازميه كما ان المدنيّة قد نبذت مجالسهُ وسخرت بمريديه

ومن انواع القمار التي شاعت بين الشعوب القديمة المراهنات فكانوا يجعلون خطراً او سبَقاً يتراهنون عليهِ يُعطى لمن جاء الامرُ موافقاً لظنّه كما كان يفعل الرومان في خيل الرهان او في سباق العجلات كانوا يضاربون بمالهم على ايّها يسبق فيستحقّ المـال من صدق قولهُ . وكذا كان يفعل اليونان في حضار مدينة ترواده وفي العابهم الاولمبية . وجاء بعد ذلك في التاريخ ذكر المراهنات عند شعوب كثيرة خصوصاً في مسابقات الجيـاد

والسُعاة والحمام ممّا لا يزال جارياً لغاية يومنا هذا والبعض من هذه المراهنات قد تناساها القوم ومحت ذكرها كرورُ الأيام

غير ان التاريخ في جميع ذلك لم يذكر لنا شيئاً عن سير الاقدمين وعن نهجهم بالمراهنات على احوال الخطة الحاضرة التي سار عليها الان مزاولو هذا الفن من المقامرة بالمبالغ الجسيمة والكميات الفاحشة التي تهدد المدنيَّة بالخراب والشبيبة بفساد الاخلاق

ومن يحضر منتدى هذه العشيرة في حلقة اجتماعها وبالاخص في اواخر الليل حيث يكون قد حمي وطيس اللعب واحتدم التنافر بين الفريقين حتّى يبلغ التحمُّس منهم اشدَّهُ يتضح لهُ باجلى بيان شراسة اخلاق هؤلاء القوم وسوء مبادئهم وتعاسة احوالهم. كيف لا ويرى ان اكثرهم قد تبعهُ النحس ولزمهُ سوء البخت فافلس واصبح حزيناً وقلبهُ مفعم كآبةً وغماً يلعن ويجدف وبعضهم اضاع اكسب رشدهُ فوقف مهللاً فرحاً طروباً يشيّدُ القصور في عالم الخيال ويبني الدور في ولسع الفضاء. التي لا يمضي الليل الثاني حتى تقوّضُ اركانها تقلبات الزهر (باصطلاح البوطة) لان من تبائع هذا الداء الوخيم ان المقامر اذا زاد ربحاً ازداد ولوعاً وشغفاً بالقمار كما ان خسارتهُ ليست برادعة لهُ عن معاطاته لأنهُ يأمل التعويض الذي هيهات ان يدرك التوصل اليه ولربما تيسر لهُ الاستعاضة فيعود الى تعليل امله بالربح. بحيث انهُ لمن المستصعب استئصال علّة هذا الداء العقيم ممّن قد اعتاده وعلى هذا النحو تلتئم عامّة مجالس المقامرين. فليتأمل العاقل بخلاصة هذه الاعمال وما النهاية والى اين المصير

ورق اللعب

من اهمّ ادوات العاب القمار المتداولة بين العامة ورق الشدَّة وعليه الان مدار حركة العاب المقامرين. وقد نسب بعض المؤرخين اختراع هذه الملهاة الى المصريين وعزاها غيرهم للصينيين او لمن جاورهم من أمم اسية لانهم اقدم من تعاطى اللعب بورق الشدَّة. ولم يدخل الورق الى اوربة الّا في سنة ١٢٧٥ كما رجحهُ البعض بواسطة العرب او اليهود ولعلَّ بعض الصليبيين هم الذين نقلوهُ الى بلادهم في جملة ما نقلوا من الالعاب الشرقيَّة بعد عودتهم الى بلادهم كلعب الكرة والشطرنج والنرد وغير ذلك. وفي اوائل

الجيل الثالث عشر شاع استعمال لعب الورق في ايطاليـة وانتشرت بعد ذلك العابهُ في جميع مدن فرنسة واسبانية وغيرها من بلاد الافرنج

ولا تخلو الالعاب الاخرى كالداما والدومينو والكيل (quilles) والبلياردو وغيرها من ادوات اللعب من المراهنات والمقامرة غير انهُ قلّما يتعدّى امرها الكـمّية الجزئيّة ان لم نقل الطفيفة في اكثر الاحيان . وعلى كلٍ وبوجه الاجمال يُقال انهُ مهما بلغت اليه مراهنات هذه الالعاب فانها لا تدرك شأو العاب الورق وجسامة خسائرها نظرًا لسرعة تقلباتها وكثرة تغيُّراتها

ومما لا ريب فيـه انتقال جراثيم هذا الداء الوخيم من اوربة الى بلادنا في العصر الاخير وانتشار العابهِ بينها حتى كأنّا اصبحنـا لا نخشى لومة العذّال في بلاد الغرب بالتصريح ان بين ظهرانينا الان افرادًا قد برعوا في هذا المضار حتى بلغوا الدرجة القصوى بمهارتهم وغرابة العابهم خصوصًا انا قد عرفنا البعض الذين في غالب السنين تدفعهم عوامل السعي والاجتهاد فيقصدون مونتي كارلو (Monte-Carlo) وهو ملعب مونا كو سواء كان للتجارة بهذا الصنف او للاستكشاف على ما جدّ وطرأ على السوق العام لهذه الاشغال من تأليف واختراع

ومن الغريب ما طالعناه اخيرًا في احدى الجرائد اليوميّة في القطر المصري مقال لاحدهم جاء فيه: « ان مضارّ المضاربات في البورصة اشد كثيرًا من العاب القمار لأنّهُ كما ادّعى ان في القمار يتساوى حظ المقامر في الكسب والخسارة واتى بشاهدٍ على هذا لعب البكرة الى غير ذلك من الاقوال الوهميّة التي هي كما لا يخفى من مزاعم طلّاب فن القمار ومن عشيرة مريديهِ » . وليقل لنا هذا الخبير العالم اي مساواة يرمي اليها او اي توازنٍ يقصدهُ اذا كان لا رابطة لهذه الالعاب غير الصدفة والاتفاق

ومن نظم المرحوم الشيخ نجيب الحدّاد هذه الابيات ولا شك انها من نفائس ما جادت به قرائح شعراء زماننا في وصف القمار

. . . .

لكلّ نقيصةٍ في الناس عـارُ وشرُّ معايب المرء القمـارُ
تشادُ لهُ المنازل شاهقات وفي تشييد ساحتها الدمارُ
نصيبُ النازلين بهـا سُهادٌ فإفلاسٌ فيأسٌ فانتحـارُ
قد اختصروا التجارة من قريبٍ فَعُدمٌ في الدقيقة او يسارُ

وبئس العيش فقرٌ مستديمٌ يمارضها يسارٌ مستعارُ
وبئس المال لا يحظى يمينٌ بهِ حتَّى تسلّمهُ اليسارُ
يفرُّ من البنانِ فليس يبقى لهم من أثرهِ الّا اصفرارُ
فبينا تبصرُ الوجنات وردًا اذا هي في خسارتهم بُهارُ
ترام حول بسطتها قعودًا يديرُ عيونهم ورقٌ يدارُ
يُلاحظ بعضهم بعضًا ببغضٍ يكادُ يضيء أسودها الشرارُ
فتحسبُ ان بين القوم ثأرًا ولا ثأر هناك ولا تفارُ
كأن عيونهم لمَّا أُديرت فراشٌ حائمٌ والمالُ نارُ
فهم لا يبصرون سواهُ شيئًا كساري الليل لاحَ لهُ منارُ
وهم لا يعطفون على خليلٍ وليس يشوقُ انفسهم مزارُ
وهم لا يذكرون قديم عهدٍ وليس لهم سوى الاسى اذّكارُ
فكم غضبوا على الايَّام ظلمًا وكم حنقوا على الدنيا وثاروا
وكم تركوا النساء تبيتُ تشكو وتسعدها الأُصيبيةُ الصغارُ
تبيتُ على الطوى ترجو وتخشى يؤرّقها السهادُ والانتظارُ
فبئست عيشة الزوجات حزنٌ وتسهيدٌ وهجرٌ وافتقارُ
وبئست خلّة الفتيان همٌّ وأتعابٌ وخسرانٌ وعارُ

اوهام المقامرين

اذا سرَّحنا الطرف في عالم هذا الكون الفسيح نرى انهُ قد لا تخلو امةٌ على وجه البسيطة الّا وقد تمسَّك جهّالها بكثيرٍ من الخرافات والاوهام التي تسري بين الأُمة فتتغلَّب على عقولهم وتأسر البابهم وذلك حتى عند الشعوب التي تدعي بمنتهى التمدُّن في الزمن الاخير . غير ان للمقامرين خصوصاً في كل نادٍ ووادٍ نوادرَ شتى في مجالسهم كما ان خرافة الاوهام التي تتسلط على عقولهم تُعدّ في بابها من الغرائب . فقد يتَّفق لاحدهم تردُّد الجلوس على كرسيٍ وتتابع الخسارة عليهِ في ذاك المحل فيعدّ انَّ طالع هذا المتكأ مشؤوم عليهِ ولا يعود يدنو منهُ البتة . وعرفنا البعض يتشاءمون اذا سُئلوا عن ارباحهم في ليلٍ مضى ويدَّعون ان نشر ذلك مدعاةٌ الى كسر الزهر (باصطلاح لغة القامرين) وغيرهم يغضبون شديد الغضب عند تواتر الخسارة حتى انهم يأخذون بالتجديف على الزهر ثم عند تحسين الاحوال تروق اطباعهم فيعودون الى ملاطفتهِ وموادعتهِ قصد الحصول على رضاه وكأنهم عند ذلك يتخاطبون مع ذاتٍ او شخصٍ منظور . ومن غريب ما يُحكى عنهم ان اكثرهم يتفاءل برؤيا الورق المزوَّق عند فتح

الورق ويعبّرون عن ذلك بمعانٍ شتى ومنهم من يتشاءم برؤيا النقط السوداء وغيرهم باجتماع بعض الاعـــداد الى غير هذا من فواعل الوهم وعوامل التأثير التي تتملك في اذهان الاكثرين وتراهم في حقيقة الامر يدركون جلياً خرافة امرهـا غير انهم يؤكدون ان التكرار والعادة قد حققتا معتقدهم وجعلتهم ينقادون الى التصديق بهذه الاوهام حتى لم يبقَ لهم وجه في تكذيبها وابطال صحتها ...

وللمقامرين مهارة عظيمة وفنّ لطيف بتصنيف الورق وتطبيق الاعداد وجمع الصور المزوَّقة ولهم بذلك اساليب شتى تحيّر الالبـاب وتسحر العقول . والبعض منهم يدعي قراءة الافكار وغيرهم التبصير بالورق ومعرفة البخت والتصيب الى غير ذلك من الاقوال والمزاح مع السذج والبسطاء . ومن رشاقة هؤلاء القوم مـا يُدهش الابصار فقد يأخذ احدهم ورقة من ورق اللعب ويصوّبها بعزم على زجاج النافذة فلا تكاد تصل اليه حتى تكسره بقوَّة وسرعة اندفاعها . ورأينا آخر يأخذ ورقة ويدفعها الى العُلى ضمن فراغ المنزل فتعلو وتسير كالسهم وباحدى زواياها تلتصق بخشب السقف واعمال كثيرة نظير هذه يتفكه بها المقامرون قبل انتظام حلقة اللعب مرجعها للعادة ولرشاقة التمرين

سوء المصير

وكما ان للبورصة سماسرة مأجورين يخدمون اشغالها ويسهلونَ اعمالها كذلك يقال ايضاً عن القمار انهُ لم يُحرم من نصراء يُرزقون من السعي والجدّ في طلب الزُّبن وجلب الشبّان الى نواديه . وكم من جاهل قد خدعهُ هؤلاء السماسرة المحتالون بمحاسن الكلام ما بين تشويق وترغيب قادوهُ الى المجالس العامة حيث التفَّ حولهُ رجالُ (البوطة) واحتالوا عليه وجرّدوهُ واقتسموا بينهم ما حوتهُ كيسهُ ولا نبالغ اذا قلنـا لولا الأنفة والعار لأعادوهُ من حيث اتى عرياناً كما اوجدتهُ الطبيعة . غير انهم في اكثر الاحيان قد يرفقون باحوال هؤلاء المساكين المنكودي الحظ ليس شفقةً عليهم بل املاً منهم ان يطمعوا بالرجوع اليهم مرَّةً أخرى

وممَّا يقضي بالاسف الشديد انتقال جراثيم هذا الداء الوخيم من النوادي والحانات المختصة بهِ الى منازل العائلات كما اننـا نسطر بعداد الاسف ما نراهُ الآن من اعضاء الاكثرين ونخصّ منهم ارباب وربّات البيوت الموكل اليهم من الله الانتباه لتربية

الشبيبة على مبادئ الفضيلة والأدب والسعي والاجتهاد يغضّون الطرف غير مبالين بوخامة العقبى وسوء المصير الذي سوف يلاقونهُ في المستقبل من وراء هذه القامرات لعدم مراعاتهم ما تطالبهم بهِ الواجبات الابوية والمدنية

ولا نقصد من بحثنا هذا التضييق على القوم او كفّ ارباب العائلات عن ترويض الافكار ومن التسلية في ساعات الفراغ فقد كان آباؤنا سالفًا يميلون الى التسلية الهادئة في الليالي الطويلة وخصوصًا في أيام العطلة كلعب الورق المزوّق والنرد والشطرنج والداما والدومينو وما شاكل هذه الالعاب وغيرها ممّا يروّح الفكر دون ان يضر بالآداب ولم نسمع انهم كانوا ينهجون بألعابهم مناهج الخطة الحاضرة التي سارَ عليها الآن دعاةُ التمدُّن ومزاولو هذا الفن بقصد التجارة والكسب من وراء المراهنات الفاحشة والمجازفات العظيمة التي تهدد المدنية بالخراب والبيوت العامرة بالإفلاس والدمار

هذا وبالاختصار ان لنا بصروف الدهر اعظم عظة واشأم تذكار بنكبات من زاول من القوم العاب هذه المجازفات الوخيمة فكم وكم من بيوت عامرة قد دمّرتها البورصة وكم من معالم كانت رفيعة شهيرة قد دكّ اركانها القمار ولم تبقِ لنا الأيام سوى آكام واطلال يحدثنا الآن الرواة عن سابق عزّها وشامخ مجدها فلعلَّ بذلك عبرةً للمقامرين ان هم يدركون والله الهادي الى سواء السبيل

المخطوطات العربيّة في خزانة كليّتنا الشرقية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

اعمال الآباء (تتمّة)

(العدد ٣٩) كتاب ضخم مجلّد بخشب وجلد طولهُ ٢٦ س في عرض ١٦ س وسمكهُ في اسفلهِ ١٥ وفي اعلاه ١٠ س وعدد صفحاتهِ ٨٣٢ وفي كلّ صفحة ١٧ سطرًا . وهو مكتوب بحرف كبير واضح وبحبر اسود الّا الفصول منهُ فانّها مكتوبة بحبر احمر وقد اشترينا هذا الكتاب في طرابلس الشام سنة ١٨٨٥ امّا فحواه فانهُ

يشتمل على احد وخمسين ميمرًا من ميامر القديس افرام السرياني في مواضيع نسكيّة ودينيّة وكتابيّة وحبريّة وادبيّة سُرد فهرسها في أوّل الكتاب . وكان هذا المصحف في احد اديرة الروم كما يُستدلّ عليه من اسمه باليونانيّة في الصفحة الخامسة ومن عدّة قطع يونانيّة ترى على هامش الكتاب . وهو قديم جديد قد ذهب العثّ بشيء منهُ وخُرقت بعض صفحات من اوّله . وتعريبهُ عن السريانيّة حسن . امّا تاريخ الكتاب فقد ورد في آخر الميمر الحادي والخمسين في الصفحة ٧٨٦ على هذه الصورة :

« كمل نسخ هذا المصحف المنسوب الى القديس افرام بعون الله وتوفيقه وتأييده وتسديده اوّل نهار يوم الاربعاء الثامن من شهر ربيع الاوّل سنة اثنتي عشرة وثمانمائة من سنين الهجرة (١٤١٠ م) ايها القارئ صلّي (كذا) وترحم على تلميذك المقبر ابو الفتح بن ابو النور الناسخ واعذره ان لقيت فيه شيء من الغلط لانهُ لم يكن من يقابلهُ ليصحّحهُ نعمة الرب تكون مع الكلّ امين »

ويلي الميمر الحادي والخمسين « مديح الاب القديس غريغوريوس اسقف نيسس في الاب افرام السرياني » في اربعين صفحة وفي اخره (ص ٨٣١) ما حرفهُ وهو مكتوب بحبر اسود غير حبر الكتاب :

« نجز هذا الكتاب المبارك يوم الاربعاء السابع وعشرين من نيسان سنة ستّة الاف وسبع مائة واربعة وعشرين للعالم وكُتب بمدينة دمشق برسم الدير المبارك طور سينا فلا سلطة لاحد يخرجهُ منهُ . . . »

وفي الصفحة الاخيرة اسم « يواكيم بطريرك اورشليم الذي طالع في هذا الكتاب » . وقد كُتب ايضًا في هامش الصفحة ٥٨٧ ما حرفهُ :

« طالع في هذا الكتاب المبارك العبد الاثيم الخاطئ . . . اسمهُ موسى بن يوسف بن دحل الله (كذا) النصراني الطرابلسيّ المعروف بالطويل ويسأل كلّ من يقرأهُ يدعو لهُ بالمغفرة . . . . بتاريخ العشرين من شهر محرّم سنة سبع مائة (؟) وتسع للهجرة . . . كُتب بمدينة القدس الشريف »

واعلم انّ في المتحف البريطاني (١) نسخةً اخرى من هذا الكتاب النفيس كُتبت سنة ١٠٦٠ للشهداء ١٣٤٤ للمسيح وهي موصوفة وصفًا تامًّا في قائمة الكتب العربيّة

(١) راجع Catalogus Codicum Mss. Orientalium qui in Museo Britannico asservantur, II, p. 26-29

مع ذكر الميامر كلّها (ص ٢٦—٢٩) وهي لا تختلف عن نسختنا الّا بزيادة ميسرين. وكذلك نسختان من الترجمة عينها في المكتبة الواتيكانيّة (راجع المكتبة الشرقيّة للسمعاني ج ١ ص ١٤٩—١٥٠) ومكتبة اوكسفرد البُذليّة. امّا مديح القديس غريغوريوس اسقف نيسس في القديس افرام فمنقول عن اليونانيّة وهو في مجموع مين (Migne PP. GG. XLVI ,819-850)

(العدد ٤٠) كتاب صفيق الورق جليّ الحرف كُتب منذ نحو ١٥٠ سنة بحبر اسود فاحم مجلّد تجليدًا شرقيًا متقنًا في مطبعتنا طوله ٣٢ س في عرض ٢٢ س عدد صفحاته ٢٨٧ وفي كلّ صفحة ٢٩ سطرًا بيع في حلب سنة ١٨٨٦ في اوّله انهُ «ملك شكرالله الياس عبود» ومضمونهُ كتابان: (الاوّل) من الصفحة ١ الى ١٤١ «كتاب تفسير ستّة ايّام الخليقة (Ἑξαήμερον) وما خلق الله فيها منذ القديم تأليف ابينا النيل في القديسين باسيليوس الجليل العظيم عدّة مقالاته تسعة مقالات معلومة وجملة حساب فصولهِ مائة واحد عشرون فصل مفهومة (كذا)». وهو كتاب شهير للقديس باسيليوس واصلهُ اليونانيّ في مجموع الاباء لمين (PP. GG. XXIX, 3-207): امّا تعريبهُ فقد اشير اليهِ بعد عنوانهِ بما يلي «ونقلهُ من اللغة اليونانيّة والروميّة الى اللغة (كذا) الاعراب عبدالله بن الفضل الانطاكي لطلب الاجر والثواب وذلك في التاريخ الرابع من جملة السنين في عام ستّة الاف وخمسمائة وستين (١٠٥٢ للمسيح)» على انّ المعرّب لم يكتفِ بنقل المتن الاصلي الى العربية لكنّهُ اضاف عليهِ شروحًا عديدة كلّ ما رأى الى ذلك حاجة وهو يقدّم هذه الشروح بقولهِ «حاشية لابن الفضل» او «قال المفسر». وهذا مثال من بعض تذييلات الشارح على الفصل الاوّل (ص١٣):

(حاشية لابن الفضل) الكواكب التي تظهر لقوم دونَ قوم هي الكواكب الثابتة ومن هنا استدلّوا على انّ شكل الارض كري (كروي) وانما سُميت ثابتة لا انها (لا انها) غير متحركة بل بطئة السير وذلك انها تقطع الدرجة على رأيهم الضالّ في مائة سنة. وما احسن ما قال القديس باسيليوس انّ اختلاف آراء الفلاسفة الضال وتضادهم (وتضادّهم) يغنينا عن المناقضة لهم. وذلك انّ طائفة منهم تزعم ان افلاك الكواكب مركوزة فيها وقال آخرون الكواكب متحركة دون الافلاك. وقال قوم هما جميعًا متحركان. وقال قوم آخرون انهُ لا افلاك لها وان الكواكب هي التي تتحرك لا في افلاك. كذا قد جرى امرهم في ترتيب افلاك الكواكب المتحيرة وكون السماء وغير ذلك من امر الموجودات. وهذا دليل على بعدهم من الحقّ واذا كانت حالهم هذه الحال فلا وجه للميل الى مذاهبهم بل الرضوخ للكتاب الالهي هو انفع وفي خلاص النفس من الاضاليل فهو

ابلغ . والكواكب المتحيرة سبعة وانما سُميت متحيرة لمخالفة سيرها لسير الفلك ورجوعها كالمائر هكذا ترعم هذه الطائفة وهذه اسماؤها : زحل والمشتري والمرّيخ والشمس وعطارد والزهرة والقمر . اما زحل فيقطع فلكهُ في ٣٠ سنة والمشتري في ١٢ سنة والمريخ في سنتين ونصف والشمس وعطارد والزهرة في سنة واحدة والقمر في شهر . وقد ذكر قوم آخرون انَّ سيرها على غير هذا النظام ولم يزل الخلاف بينهم . وذكر اصحاب التعاليم انَّ حركة الشمس ليست كحركة الفلك المحيط بها بل متحركة حركة تحدث شكلًا مموجاً . وذكروا انَّ هذه الاسماء قديمة لاناس قدماء اماَّ زحل فكان ملكًا على المصريين . اماَّ المشتري فعلى الاسيريوا (كذا) واماَّ الشمس فعلى الافريغون (كذا) واماَّ القمر فعلى الصقالبة واماَّ المرّيخ فعلى الاتراكي (كذا) واماَّ عطارد فكان مؤدبًا . واماَّ ابعاد الكواكب من الارض فقد ذكرهُ (كذا) قسطا بن لوقا في المدخل الى الفلسفة .اه

اماَّ الكتاب الثاني (ص ١٤٢—٢٨٧) فيحتوي كتاباً « للقديس غريغوريوس اسقف نيسس اخي القديس الكبير باسيليوس كتبهُ الى القديس بطرس اخيهِ في خلقة الانسان وشرف معانيهِ وزيادة معاني الذي (كذا) فسَّرها باسيليوس الكبير في ستَّة ايَّام الخليقة بابلغ تحريرٍ عدَّة ابوابهِ اثنين وثلثون باب (كذا) ويتقدَّم الابواب فاتحة الكتاب من غريغوريوس الى بطرس وهي بدؤ الخطاب »

واصل هذا الكتاب باليونانية تجدهُ في مجموع آباء اليونان لمين (PP. GG. XLIV, 123-256) الَّا انَّ الباب الاخير في العربية (ص ٢٤١—٢٨٧) هو في اليونانية مقدَّم مستقلٌ بذاتهِ (PP. GG. XLIV, 61-124) ولم يُذكر من هو معرّب هذا الكتاب الثاني . وعندنا انهُ هو عبدالله بن الفضل الانطاكي ولهُ اليد الطولى في التعريب عن اليونانية بضبط وامانة مع فصاحة العربية

وقد افادنا حضرة الاب قسطنطين باشا انَّ لديهِ نسخةً من هذا الكتاب

(العدد ٤١) كتاب مجلَّد بجلد اسود بلديّ طولهُ ٢٢ سنتمترًا في عرض ١٦ س صفحاتهُ ٣٧٨ وفي كل صفحة ١٩ سطرًا . مكتوب بخط كنسي لبناني تاريخهُ نحو ١٥٠ سنة بحبرين اسود فاحمر وفي اوَّلهِ تاريخ سنة ١٨٥٢ تدلُّ على سنة دخولهِ في ملك بعض مقتنيهِ . بيع في بيروت سنة ١٨٩٣ وهو يتضمَّن الكتابين المذكورين في العدد السابق اعني كتاب ستَّة ايَّام الخليقة للقديس باسيليوس وتفسير القديس غريغوريوس اسقف نيسس على خلقة آدم . الَّا انَّ ترجمة كتاب القديس باسيليوس تختلف في اشياء كثيرة عن ترجمة الكتاب السابق فضلًا عن انها لا تحتوي شروح عبدالله بن الفضل الانطاكي

وهذا مثال من الترجمتين فيهِ نبذة من الفصل الأوّل « في الله تعالى »

ترجمة العدد ٤٠

انّ الذي صنع السماء والارض في البدء هو الطبيعة المنبوطة ذو الصلاح الجمّ المحبوب عند كلّ ذوي العقل الجمال المأثور مبدأ الموجودات ينبوع الحياة النور العقلي الحكمة التي لا تُرام فلا تتخيل ايها المرء انّ هذه المبصرات لا بدء لها ولا لطبيعة الاجسام المستديرة من اجل انّ حركتها دورًا (كذا) . . .

ترجمة العدد ٤١

في البدء صنع الله اي الطبيعة المنبوطة الجود والصلاح الذي لا بخل فيهِ المحبوب عند كل من اهل النطق الجمال المأثور ابتداء الموجودات ينبوع الحياة النور العقليّ الحكمة التي لا تُرى هذا هو الذي صنع في الابتداء السماء والارض . ولا تتخيَّل ايها الانسان انَّ هذه المبصرات لا بدءَ لها ولا اذا رأيت ما يتحرَّك دورًا في السماء . .

امّا الكتاب الثاني فيوافق تعريبهُ تعريب النسخة الموصوفة سابقًا . وكذلك في آخرهِ قد نُقل السِّفر الذي وضعهُ القديس غريغوريوس عن الخليقة « وهو جامع لاختصار الاكسيمرون »

(العدد ٤٢) كتاب مجلَّد بخشب وجلد منقوش طولهُ ٢١ س في عرض ١٥ س فيهِ آثار حريق صفحاتهُ ٢٨٩ وفي الصفحة ١٧ سطرًا مكتوب بحرف عاديّ وبحبرين اسود واحمر . امّا تاريخهُ فقد خُطَّ في آخرهِ على صورة مشتبكة رمزيَّة هذا حرفها :

كان النجاز من انتساخه هذا الكتاب المبارك المسمَّى كتاب الكون نهار الثلاثاء خامس يوم خلي من شهر تشرين الاوَّل سنة سبع الاف ومائة واربع وسبعين لآدم اوَّل البشر ولتجسُّد الكلمة المسيح الهنا ١٦٢٦ وذلك بيد افقر عباد الله وارذلهم واصغر بني المعموديَّة واحقرهم الخوري سابا بنزيّ راهب بالقول ولا بالفعل ابن يوسف ابن الشماس يعقوب ابن الحاج ميخائيل من عيلة بيت الاعرج من قرية عضديق من كور طرابلس عمل الشام غفر الله لهُ . . . . (ثم يذكر انهُ نقلهُ من نسخة اخرى عتيقة لم يبين تاريخها) وهو بذمّة الشيخ الاجلّ ابو فيصل من قرية بكفيًا هنَّأه الله بهِ زمانًا طويلًا بامتداد العمر وكثرة السنين بشفاعة العذرى امين

وفي صدر الكتاب وآخرهِ افادات تاريخيَّة كتاريخ « وفاة المرحوم الشيخ ابو فيصل مقصود بن الجميّل سنة ١٦١٢ (كذا) » وتاريخ زواج « عبدالله بن ابو فيصل » في ١٠ آب من سنة ١١٠٢ (هجريَّة ١٦٩١ م) وتاريخ « وفاة الامير محمَّد بن معن في نصف شهر ايلول سنة ١١٠٨ (١٦٩٧) » وغير ذلك من الفوائد . وعلى ظنّنا ان هذا

الكتاب اهداهُ لمكتبتنا المرحوم الخوري يوسف الجبيّل نحو سنة ١٨٨٠ امّا مشمول الكتاب فانهُ ينطوي على عدّة اعمال من الاباء : اولها (ص٣—٢٧) كتاب الاكساميرون اي ستّة ايّام الخليقة للقديس ايفانيوس · وهو كتاب مفقود في اليونانية ولا نعلم أتكون الترجمة العربية صحيحة مضبوطة · امّا التعريب فبسيط فيهِ ركاكة وضعف · وثانيها (ص ٢٧—٤٦) رؤيا القديس غريغوريوس المتكلم باللاهوت وهذه الرؤيا كان الله اراها لهُ في قضية الشيطان ، وهو كتاب لم نجدهُ في اعمال القديس غريغوريوس التريتري الباقية والظاهر انهُ كتاب موضوع نُسب لهُ وهو يحتوي اخبار الخليقة منذ تكوين الملائكة الى ان كفّ الله عن الخلقة في اليوم السابع منهُ نسخة في باريس · وثالثها (ص ٤٦—٢٨٧) يحتوي قصّة آدم وحوّاء وما جرى لهما بعد خروجهما من الفردوس ومقامهما في مغارة الكنوز ، وهو كتاب عجيب في بابهِ يتضمّن اخبار ابوينا الاوّلين واقامتهما في مغارة تُدعى مغارة الكنوز وعيشتهما فيها وما اوحى الله بهِ اليهما فيها مع ذكر ما جرى لنسلهما الى زمن المسيح · وهذا الكتاب اصلهُ بالسريانية نُسب الى القديس افرام طبعهُ العلّامة بتسولد (Bezold) باصلهِ السرياني مع ترجمتهِ الى الالمانية · وفي مكتبتنا منهُ نسخة قديمة · وفي الترجمة العربية هذه اختلافات متعددة عن السريانية

(العدد ٤٣) كتاب مجلّد بجلد عتيق بلديّ طولهُ ٢٠ س وعرضهُ ١٥ س مكتوب بخطوط مختلفة غير متقنة وسطورهُ تتراوح بين ١٦ و ٢٠ سطرًا في الوجه · تاريخهُ نيف و ٢٠٠ سنة · وهو يحتوي الكتب الثلاثة التي سبق وصفها في العدد الماضي الّا انّ اولهُ ناقص يبتدئ (ص ١—٢٩) بقصّة القديسة الاربا ابنة الملك زينون التي ترهّبت بزيّ الرجال وعُرفت بيوحنّا الطوشي · ثم يليها (ص ٣٠—٧٩) اكساميرون القديس ايفانيوس · ثم (٧٩—١٠٣) رؤيا القديس غريغوريوس في خلق الارواح وسقوط الشيطان وتكوين الخلق ثمّ (١٠٣—٣٠٧) قصّة آدم وحوّاء وما جرى لهما في مغارة الكنوز · وفي اخرها تاريخ الكتاب وهو العاشر من شهر اذار من السنة ٧٢٠٦ لآدم (الموافقة لسنة ١٦٩٨ لم) · وبعد هذا ميمر للقديس يوحنّا فم الذهب عن التوبة مع مدائح تقويّة (٣٠٩—٣٢٢) · ثمّ (٣٢٢—٣٤١) كلندار الكنيسة اليونانيّة وتقويم اعيادها · وفي آخرها الطالبي البارك (٣٤٢—٣٦٩)

(العدد ٤٤) كتاب مجلّد تجليدًا حديثًا في مطبعتنا طولهُ ٢١ س وعرضهُ ١٥

س وصفحاتهُ ٣٩٠ وهو مكتوب بالحرف الكرشوني الحسن بحبرين اسود واحمر كُتب منذ نحو ١٥٠ سنة وفيهِ عشر مقالات والمقالات تنقسم الى ابواب والابواب الى فصول. امَّا فحواهُ فهو شرح ايَّام الخليقة كالكتب السابقة ولكنَّهُ يختلف عنها وهو احدث منها عهداً يستشهد فيها صاحبها المجهول بالقديس باسيليوس وغريغوريوس النيصصي ويعقوب الرهاوي وغيرهم. وهذه اسماء المقالات العشر الكبرى (ص ١): خلقة الستَّة الايَّام وفيها استعداد وسبعة ابواب. ثم (ص ٨٥) اللاهوت الاقدس وفيهِ بابان. ثم (ص ١١٩) تجسُّد الاله الكلمة. ثم (ص ١٦٣) الملائكة. ثم (ص ١٨٤) الارواح الشريرة. ثم (ص ١٨٥) النفس. ثم (ص ٢٤٣) الكهنوت. ثم (ص ٢٧٥) السلطة الذاتية والاجل. ثم (ص ٣٤١) منتهى العالمين الكبير والصغير وابتداء العالم الجديد. ثم (ص ٣٧٤) الفردوس وقد ذهب اخرهُ

(العدد ٤٥) مصحف قديم مجلَّد بجلد شرقيّ عتيق طولهُ ٢٢ س وعرضهُ ١٥ س صفحاتهُ ٤٤٤ وفي كلّ صفحة من صفحاتهِ ١٨ سطراً مكتوب بالكرشوني وحرفهُ نضر اسود فاحمر وهو يحتوي قوانين الآباء. ومنها اوَّلاً اقوال القديس باسيليوس والاسئلة التي القاها اليهِ الاخوة عن التنسُّك والعيشة الرهبانيَّة (ص ١—٢٣٩) وفي اخرها ما نصُّهُ

«كمل بعون الله وحسن توفيقهِ هذا الكتاب المبارك الذي هو من قول القديس باسيليوس الكبير صلاتهُ تكون معنا امين. وهو مئة مسألة عن ترتيب وقوانين الرهبان النسَّاك الراغبين خلاص نفوسهم وزاهدين في القنيان وكان انجازهُ في ٢٢ نيسان في سنة ١٦٩٦ مسيحيَّة على يد ارذل الناس واحقرهم بطرس باسم قسّ ليس بالفعل . . . في ايَّام معلمي المطران جبرائيل وابن خالتي المطران ميخائيل الله يديمهم على رأسي زمان طويل امين»

ثمَّ يليهِ ميمر من اقوال القديس افرام (ص ٢٣٩—٢٨١). ثم قصَّة الاب العظيم في القديسين مار انطونيوس كوكب البرّية (٢٨١—٣٩١) مع تعاليمهِ (٣٩١—٣٩٨) وقوانينهِ (٣٩٩—٤٠٤). ثم قوانين القديس اشعيا وضعها للشبان المبتدئين في الرهبانيَّة (٤١٠—٤٣٥). ثم تعليم القديس برصنوفيوس (٤٣٥—٤٣٨) وفي اخرها قوانين القديس بخوميوس (٤٣٨—٤٤٤). وقد كُتب في ختامهِ «انَّ الكتاب للخوري حنَّا الحاج اشتراهُ سنة ١٧٩٢» (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

La Bible et l'Archéologie syrienne, par V. Ermoni, in-12. Librairie Bloud et C^ie^, Paris (*Collect. Science et religion*).

التوراة والعاديات السورية

هذا الكتاب تابع لمجموع تآليف نُشرت تحت عنوان « التوراة والعلوم الشرقية » ولا خفاء ان الآثار المكتشفة في سورية قد اتّسعت في هذا الزمن الاخير اتساعاً عجيباً فاختار مؤلف هذا الكتاب بينها ما رأى لهُ علاقة بالاسفار المقدسة · وغايتهُ ان يثبت صحّة ما ورد في التوراة اذا قوبل بين اقواله وشهادة العاديات · كأنّ الله لم يسمح بكشف هذه الدفائن الّا ليزيد ما اتاهُ على انبيائه الاكرمين · وعليه يرى محبو الآثار الكتابية ما لهذا التأليف من الشأن · لكنّنا كنّا وددنا لو اضاف المؤلف الى كتابه نظرًا عامًا في امر هذه الاكتشافات السورية ليكون القرّاء على بيّنة من امرها · فانّ التأليف اشبه بقائمة منهُ بتصنيف قريب المنال · وكذلك قد اشار المؤلف الى اسانيد غير كاثوليكية دون ان يبيّن غثّها من سمينها

Mémoires d'Histoire et de Géographie orientales-N° 3, Mémoire sur les migrations des Tziganes à travers l'Asie, par **M. J. de Goeje,** Brill, Leide 1903, pp. 91

مبحث في مهاجرات التينان (النوَر)

يذكر قرّاؤنا المقالات النفيسة التي كتبها حضرة الاب انستاس الكرملي (المشرق ٥:٩٦٥ الخ) عن جيل من الناس كثر فيهم القال والقيل نُريد النوَر الذين لهم في كلّ الاصقاع سمعةٌ سيئة لم تخلُ منها بلادنا · وقد سعى ارباب البحث في تعريف احوال هؤلاء القوم وعاداتهم واصلهم وتاريخهم ولغتهم فكتبوا واطالوا الّا انّ العلّامة المبرّز الدكتور دي خوي قد امتاز بين رصفائه بمقالة مستجادة وضعها في العام الماضي واتحفنا بنسخة منها · وقد خصّ بدرسه نور الشرق وانتقالاتهم المتعددة من السند الى العجم ثمّ الى العراق ثمّ الى جهات الشام مستندًا في ابحاثه الى الاسانيد القديمة الصادقة لا سيّما مؤرخي العرب وقد بيّن ان اصلهم من الهند وانّهم عُرفوا بالجت فسمّاهم

العرب الزطّ ثمّ درس بقايا لغتهم وقابل بينها وبين لغات بعض قبائل العجم والهند فاستدلّ بذلك على اصل نشأتهم ثمّ اثبت انّ لغتهم في اوربا تختلف بعض الاختلاف عن لغتهم في جهات آسيا لما دخلها من الارمنية واليونانية . وقد أقرّ جناب المؤلف بأنّ اموراً عديدة منوطة بالنور لا تزال حتّى اليوم مبهمةً . وانّا نشكرهُ على استشهاده مراراً بمقالة حضرة الاب انستاس وثنائهِ عليها ل . ش .

Ex Oriente Lux
Jahrbuch d. deutschen Orient-Mission
herausg. v. Dr Johannes Lepsius, Berlin. 1903, pp. 251
تقويم الرسالة الالمانيّة في الشرق

يحتوي هذا الكتاب تفاصيل اعمال الرسالة البروتستانيّة الالمانيّة في بلاد الشرق مع بيان كلّ مشروعاتها من مدارس ومياتم ومقامات طبّية . وانّما هو كقائمة مفيدة يُرجع اليها عند الضرورة لكنّها خالية من الهيئة العلميّة . وفيهِ ايضاً ما عدا ذلك بعض مقالات جغرافية ليست ذات شأن عظيم منها بحث في سكّة بغداد ورحلة الى جبل ارارط والى جزيرة پتموس . وقد طُبع الكتاب طبعاً جميلاً وزُيّن بعدَّة تصاوير

الاب ه . لامنس

Arabe dialectal de Syrie: Textes divers, 1re partie, recueillis par **Joseph Harfouch**, Professeur à la Faculté Orientale de l'Université de Beyrouth, *Imprimerie Catholique,* 1904, pp. 73
المنتخبات العاميّة في اللغة العربيّة

اشرنا غير مرّة ما يترتّب على درس اللغة العاميّة من الفوائد فلذلك عُني المعلّم الشهير يوسف افندي حرفوش بجمع هذه المنتخبات لتكون كدستور لطلبة المكتب الشرقي يتولّى شرحها لمن يأتيهِ من الاجانب . ومن مضمونات هذا القسم الاوّل امثال عاميّة منتخبة عددها ٤٨٠ مثلاً ثمّ فكاهات وقصص منقولة عن كتاب الاديب شكري الخوري المعنون بالتحفة العاميّة . ثم بعض محاورات ثمّ مكاتيب تجاريّة وفي آخرها بعض اعلانات . فجاء المجموع احسن تأليف وُضع لدرس اللغة العاميّة في الشرق فنثني على همّة الجامع ونحضّ المستشرقين على مطالعة كتابهِ . واملنا ان ينجز جناب المؤلف مجموعهُ قريباً ويضيف اليهِ بعض شروح لتقريب فهمهِ

Beitraege zur Geschichte Aegyptens unter dem Islam von D^r^ **Carl H. Becker**, I et II, pp. 198, *Strassburg*, *Truebner*, 1902-1903

انَّ في تاريخ مصر في القرون المتوسطة اموراً عديدة غامضة لم يكشف سرَّها ارباب العلم حتى يومنا هذا . فحاول الدكتور كَرل باكر من مدرّسي كليّة هيدلبرغ ان يهتك عنها الستر بالبحث فراجع لذلك عدَّة تآليف منها منشورة بالطبع ومنها مخطوطة فدرسها درساً مدققاً وقابل بينها واستخلص منها عدَّة فوائد لتاريخ مصر في تلك القرون السالفة لا سيَّا على عهد بني طولون والفاطميين كتعريف سياسة الولاة وتنظيم الدواوين والمعاملات مع الرعايا وخصوصاً الاقباط الذين كان عددهم يبلغ ٦,٠٠٠,٠٠٠ واشياء أُخر كثيرة لا يسعنا تفصيلها . وممَّا اثبتهُ في نصّهِ الاصلي قطعة طويلة من تاريخ المسبّحي في حوادث سنة ٤١٥ ﻫ (١٠٢٤ م) فنثني على همَّة ونحرض محبّي التاريخ على النظر في تأليفهِ

Die alte Landschalt Babylonien nach den arabischen Geographen, von D^r^ **Maximilian Streck**, I et II, *Leiden*, *Brill*, 1900-1901, pp. XXVI-333

اقليم بابل القديم وفقاً لجغرافيّي العرب

انَّ الاثريين ممَّن يبحثون عن عاديَّات بابل قد صرفوا همّهم في هذه السنين الاخيرة الى درس الخطوط الاشوريَّة التي فكَّ رموزها اهل الجدّ والثبات منذ نحو نصف قرن . ولعلَّهم مذ ذاك الحين تغاضوا نوعاً عن درس الآثار البابليَّة التي دوَّنها الكتبة عن تلك البلاد الشهيرة . وفي جغرافيّي العرب من هذا القبيل عدَّة افادات دوَّنوها في كتبهم نقلاً عن التقاليد القديمة وفي معرفتها ما لا يُنكر من الفوائد . فهمَّ العلاَّمة مكسمليان شتراك من اساتذة كليَّة مونيخ ان يجمع هذه الشذور المتفرّقة في كتاب واسع شحنهُ بنصوص كتبة العرب في بلاد بابل واتساعها واسماء مدنها وقراها ودساكرها واخصُّ مستنداتهِ معجم البلدان لياقوت ومراصد الاطّلاع واليعقوبيّ وبعض تآليف لكتبة السريان فضلاً عن مصنَّفات مشاهير المحدثين في هذا الشأن . فجاء هذا الكتاب فريداً في بابهِ لا يستغني عنهُ كلُّ من يبحث عن الاقليم البابلي وبلاد العراق جازى الله صاحبهُ خيراً عميماً

L'Introduction topographique à l'Histoire de Bagdad d'Abou Bakr al-Khatib al-Bagdadhi par **G. Salmon**, *Paris*, *E. Bouillon* 1904, 8° pp. 206+93

مقدّمة تاريخ بغداد لابي بكر الخطيب البغدادي

ليس لاخبار بغداد القديمة تاريخ اوسع واضبط من تاريخ ابي بكر احمد بن عليّ المعروف بالخطيب البغـدادي المتوفّى سنة ٤٦٣ ﻫ (١٠٧١ م) وهذا الاثر الجليل لا يزال حتّى الآن في زوايا المكاتب منهُ قسمٌ في جملة مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة. ومعظم الكتاب يحتوي تراجم مشاهير بغـداد الّا انّ اوّلهُ يشتمل على مقدّمة طويلة تاريخيّة في اصل بغداد واسمها وبنائها الاوّل واقسامهـا ودورها وقصورها ومقابرها الى غير ذلك من الفوائد المعرّفة لتخطيطهـا القديم ومركزها. فسعى جناب الفاضل جرجي سلمون احد الحائزين الشهادة في مكتب الدروس العليا في باريس بنشر هذا القسم من تاريخ الخطيب البغداديّ ونقلهُ الى الفرنسيّة وذيّلهُ بالحواشي المفيدة والفهارس الواسعة. ولهُ في اوّل الكتاب مقدّمة طويلة في تعريف تاريخ بغداد وصاحبهِ وما يستفـاد من تأليفهِ لبيان احوال بغداد ومبانيهـا في ايّام بني عبّاس وما يتعلّق بانحائها لا سيّما سواد العراق وسقيهِ. والنصّ العربيّ مطبوع طبعاً متقنـاً بحرف مطبعتنا الاسطنبوليّ وهو حسن الضبط الّا بعض اغلاط فرطت لا سيّما في الشعر كقولهِ (ص ١٦): «اين ربُّ الزوراء اذ قلّدتهُ» والصواب «قلّدَتهُ» اي الزوراء. وكقولهِ (ص ٢٩): «عُهدتُهم في رغدٍ» بدلًا عن عَهِدتُهم» وكقولهِ (ص ٤٦): «يامن تباشرَتَ القبورُ لموتهـا» والصواب «تباشَرتِ القبورُ». ومنها (ص ٤٧): «لكَ بكاكِ» صوابهُ «ملكٌ بكاكِ»

ل. ش

هدايا أُرسلت الى مجلّة المشرق

١ البابا لاون الثالث عشر والكنيسة اليونانيّة. نبذة حسنة لحضرة الاب دي ميستر البندكتي في الايطاليّة D. Placido de Meester, O. S. B.: *Leone XIII e la Chiesa Greca, Roma*, 1904. pp.55

٢ خلاصة اعمـال شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن سنة ١٩٠٣ (ص ٤٨) وهي مصدَّرة بصورة فقيد الكنيسة البابا لاون الثالث عشر

٣ المستطرفات في حياة السيد جرمانوس فرحات. وهي المقالة التي نشرها في المشرق حضرة القس الفاضل جرجس بن فرنسيس منش الماروني الحلبيّ (ص ٣٦)

٤ خطاب القاهُ حضرة الدكتور القس بولس عبّود الغوسطاوي في يافا لتأبين الشيخ هيكل صالح الخازن

شذرات

اثر جليل قرأنا تحت هذا العنوان في مجلة المباحث الغرّاء ما حرفهُ :

« قد استفزَّت محبَّة العذراء مريم غبطة بطريرك الموارنة الى اقامة اثر مجيد لهذه الام البتول جاء اكليلًا لما لها من الآثار الكثيرة في جميع انحاء لبنان واليك ما جاء بهذا الشأن في جريدة الارز الغرَّاء لصاحبها الكاتب المجيد عزتلو الشيخ فيليب الخازن في العدد ٦٧٥ وان هذا الاثر لاحسن جواب يسد بهِ لبنان افواه الماحكين . استقر رأي غبطة ابينا العلّامة العالي المنار كبير احبار هذه الديار ماري الياس الحويك بطريركنا الكلي الطوبى ورأيهُ موفق للصواب على اقامة تمثال للعذراء (عليها السلام) طولهُ سبعة امتار ونصف المتر على قمة جبل حريصا في المكان المدعو بالصخرة المشرف على جونيه تذكارًا لمرور خمسين سنة على عقيدة الحبل بلا دنس وسيؤتى بهِ قريبًا من فرنسا ويجعل فوق بناية علوها ٨ امتار فيحلق هذا الاثر المجيد في الجو كتاج افتخار لجبلنا الكثير التعظيم لوالدة الاله ويكون احسن شارة وخير فأل بحسن المآل لهذا القرن الشديد الحاجة الى آلاء الله المستمطرة بواسطة والدتهِ لصدّ صدمات اعداء الالفة والنظام . فاذا ما كانت الناس تبني على قدر اخطارها ويقضى على عقولها بآثارها فهذا الاثر يدلّ على حسن اختيار بانيه في هذه الدنيا مثالًا للدار التي بناها في الآخرة باعمالهِ الجليلة المشكورة »

سباق طالب قد انتخبنا هذه الابيات التي نظمها التلميذ الزكي امين مشحور من طلبة كليتنا نقلًا عن ابيات فرنسية فاحسن نقلها واصاب الجائزة في نظمها :

وللموتِ امثالٌ فدونك واحدًا يفوق الوفا بالمنافع والعِبَرْ
ألا إنّما الموت الذي يخدم القدرْ يقوم مقام الأمّ في خدمة البشرْ
تُعرّي ابنها ان أقبل الليلُ واعتكرْ وتجملهُ في المهدِ من فوقهِ السترْ
فيغرق في نوم لطيف الى السحرْ

بَنُوهُ جميع الناس فالكل في خطرٍ   فان كنت في ربع الشباب او الكبرْ
قبيحًا ذليلًا او جليلًا ومعتبرْ   فقيرًا ورثّ الثوب باكون محتقرْ
غنيًا بِبُرد الخزّ والحلي والدررْ
فسوف يعريك الحِمام مجردًا   ويطويك في لحدٍ ومن فوقك الحجرْ

اسئلة واجوبة

س سألنا جناب الشيخ سليم خطار الدحداح ما هو اصل لفظة الكرشوني الكرشوني

ج يُراد بالكرشوني ما يُخطّ بالحرف السرياني ومنطوقهُ عربي . امَّا اصل اللفظة فقد اختلفوا فيهِ زعم جبرائيل الصهيوني ومرهج النيروني ان الكرشوني نسبة الى «كرشون» او «جرشون» احد سريان ما بين النهرين وهو اول من اتخذ الكتابة السريانيّة لكتابة اللغة العربيَّة وقيل انهُ ظهر بعد الفتح العربي بمدَّة . والمرجَّح الان لدى العلماء ان لفظة كرشوني مشتقَّة من فعل سرياني «ܓܪܫ» ومعناها الدخيل الغريب دلالة على استعمال الحروف السريانيَّة للغة غريبة

س وسأل الخواجا انطون صالح : اصحيح قول العامَّة ان الجبنة تبعد الافاعي الجبنة والافاعي

ج يتناقل العامَّة في لبنان خاصَّة انَّ الافاعي تهرب من الامكنة التي تُعلَّق فيها الجبنة المستخلصة من كبد الجدي . ويؤكد البعض ذلك ايضًا عن قشر البصل والثوم . ولا نعلم ما في هذا القول من الصحَّة فانَّ الكتب العلميَّة التي راجعناها لا تثبت الامر . ولعلَّهُ صحيح فنطلب الى اهل الخبرة ان يأتونا بما يحيط بهِ علمهم من هذا الجانب

س وسُئلنا من عمشيت اذا وجدت بئر مساحتها ٥٠ مترًا مكعَّبًا فكم يلزم لها من الامتار المربَّعة من مسافة السطوح ليجتمع فيها ماء غلاها على مدار السنة اذا حُسب متوسّط تعديل المطر ٩٠ سنتمترًا

النسبة بين السطح والبئر لتُملأ البئر ماء في السنة

ج يجب ان يكون للسطح ٥٥ مترًا مربَّعًا اعني ان تكون جوانبهُ ٧ امتار و٤٥ سنتمترًا   ل . ش